وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة - يحيى فارس - المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الدولة العثمانية والبحر الأبيض المتوسط

"البحرية الجزائرية في عهد الدايات 1671-1830م نموذجا "

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ
تخصص: دولة عثمانية

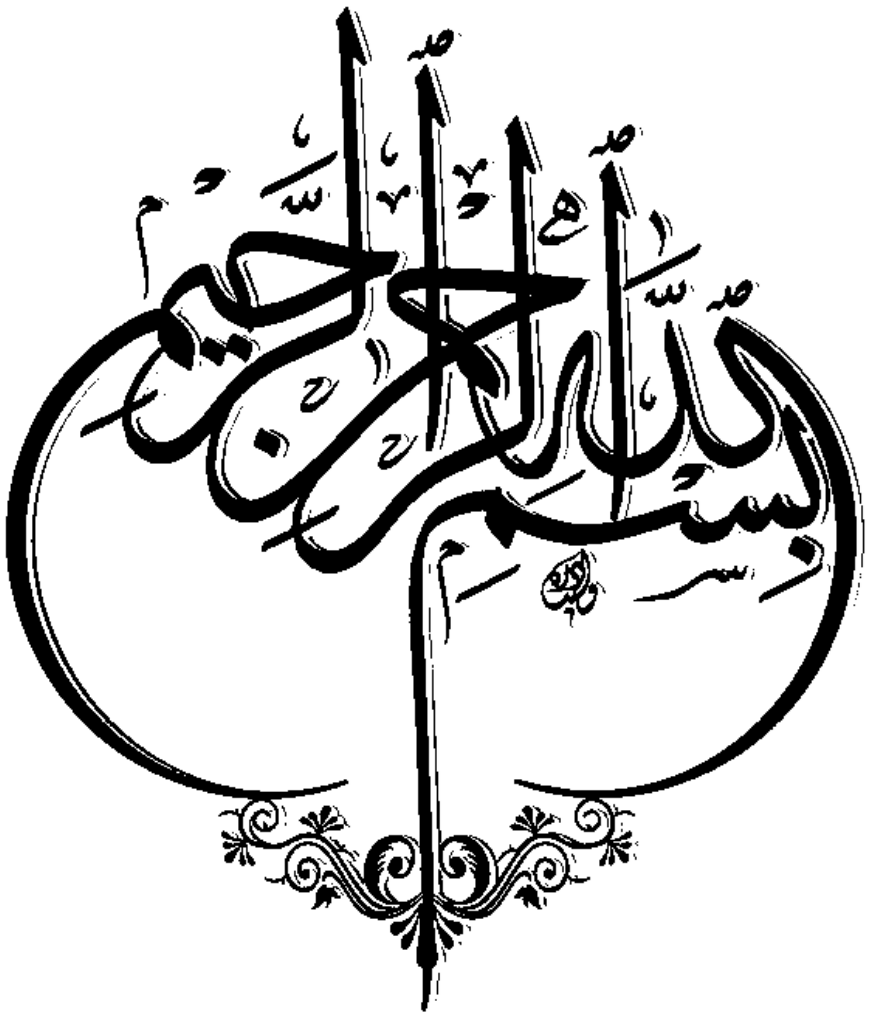
إعـــداد الطلبـــة:

- حنان بورنان
- فاطمة الزهراء قريوش

إشـراف الأستـــــاذ(ة):

- كمال بوزريعي

السنة الجامعية: 2019-2020


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أتقدم بأرقى عبارات الشكر والعرفان إلى الأستاذ " بوزريعي كمال " لقبوله الإشراف على هذه المذكرة وعلى التوجيهات والنصائح الرشيدة لاتمام هذه المذكرة.

وإلى كل من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من دور وعبارات من أسمى وأجل عبارات في العلم .

إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح.

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

إلى نبي الرحمة محمد خاتم النبيين ـ صلى الله عليه وسلم ـ

إلى التي رسمت لي طريق الأمان وغمرتني بفيض من الحنان " أمي الحبيبة "

أطال الله في عمرها

إلى من دفعني إلى طريق النجاح وكان لي السند والقوة " والدي الحبيب "

أطال الله في عمره

إلى من أظهروا لي أجمل ما في الوجود " إخوتي "

حفظهم الله

إلى من حبهم يجري في عروقي " أخواتي "

حفظهم الله

فاطمة الزهراء

إهداء

إلى وطني العزيز: الجزائر الصامدة بأهلها

إلى الإنسان الذي علمني كيف يكون الصبر طريقا إلى النجاح أبي السند والقدوة والدي الحبيب أطال الله في عمرك ورزقك الصحة والعافية وغفر لك.

إلى من رضاها غايتي وطموحي أمي الغالية أعطيتني الكثير ولم تنتظري الشكر.

إلى باعثة العزم والتصميم والإرادة صاحبة البصمة الصادقة في حياتي والدتي الحبيبة والحنونة أطال الله في عمرك ورزقك الصحة والعافية وغفر لك.

إلى كل من يجاهد بعلمه وقلمه في سبيل إعلاء راية الدين والوطن.

حنان

قائمة المختصرات:

الكلمة المختصرة	معناها
(ط)	طبعة
(تر)	ترجمة
(تح)	تحقيق
(ج)	جزء
(تعر)	تعريب
(مج)	مجلد

مقدمة:

تعد البحرية الجزائرية موضوع هام في تاريخ الجزائر العثمانية، فلقد شهدت البحرية الجزائرية أوج قوتها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وبفضلها تمكنت الجزائر من احتلال مكانة خاصة من حوض البحر الأبيض المتوسط وإقامة علاقات دولية مع أكبر الدول الأوروبية، لكن شيئا فشيئا بدأ التراجع يظهر على النشاط البحري على امتداد القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وخاصة مع ضعف البحرية العثمانية نتيجة تصديها للحملات الأوروبية المتكررة، حيث زاد اعتمادها على قوة النشاط البحري الجزائري فقد ساهمت الجزائر إلى جانب الباب العالي في تلك المعارك التي أدت بضعف نشاطها البحري وتراجعه، لذلك سنحاول في بحثنا هذا إبراز أهمية ومكانة البحرية الجزائرية في حوض البحر الأبيض المتوسط خاصة في عهد الدايات والتطرق إلى العوامل التي أدت إلى ضعفها وتراجعها.

أما الدوافع التي كانت من وراء اختيارنا لهذا الموضوع فهي دوافع ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الدوافع الذاتية فتمثلت في:

- الميول الشخصي إلى دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية.
- الرغبة في البحث وقراءة كل ما كتب حول تلك الفترة خاصة فترة الدايات.
- تحفيز وتشجيع الأستاذ المشرف لنا للبحث في هذا الموضوع.

وتمثلت الدوافع الموضوعية في:

- باعتبار البحر الأبيض المتوسط ملتقى القارات والأديان والحروب كان لابد من الفصل في أهم المعارك ومشاركة البحرية الجزائرية بعد ظهورها كقوة عالمية ودولة حديثة.
- إن موضوع البحرية الجزائرية في العهد العثماني وبالتحديد ما بين 1671-1830م موضوع محل اهتمام الباحثين المحليين والغربيين بحيث لا تخلو المصادر والمراجع المختصة بالفترة الحديثة من الحديث عن البحرية الجزائرية ودورها في بناء دولة

الجزائر، وبالتالي ضعفها الذي أدى إلى ضعف دولة الجزائر أمام التحالف الأوروبي وضعف الدولة العثمانية.

الهدف من الدراسة:

إن الهدف من الدراسة هو الخوض في تفاصيل البحرية الجزائرية خلال عهد الدايات 1671م -1830م، وإبراز دورها في حوض البحر الأبيض المتوسط وتبيين ضعفها بتدهور الدولة العثمانية، والتطرق إلى دور البحرية في العلاقات بين الجزائر وأوروبا بغية الكشف عن خبايا البحرية الجزائرية وأثرها الجهادي.

الإطار الزماني والمكاني:

في بحثنا هذا نعالج الفترة المعتمدة من 1671-1830م وهي فترة حكم الدايات في الجزائر التي عرفت زوال قوة البحرية الجزائرية والاستقلال التام عن الحكم العثماني وبروز التفوق الأوروبي وسيطرته على حوض البحر الأبيض المتوسط بعد أن كان بحيرة عثمانية.

أما الإطار المكاني فنحدده في إيالة الجزائر باعتبارها مركز الجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط.

وحاولنا الإجابة من خلال العرض المقدم على الإشكالية التالية:

ما مدى مساهمة البحرية الجزائرية في سيطرة الدولة العثمانية على حوض البحر الأبيض المتوسط؟

ومن خلال هذه الإشكالية نطرح مجموعة من الأسئلة:

- ما هو واقع البحرية الجزائرية خلال عهد الدايات؟

- ما هو مفهوم القرصنة وهل كان نشاط البحرية الجزائرية ذا بعد جهادي؟
- ما هي العوامل والأسباب التي أدت إلى ضعف البحرية الجزائرية؟
- ما هو تأثير النشاط البحري الجزائري على العلاقات الخارجية للجزائر مع أوروبا والباب العالي.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

ـ المبحث التمهيدي: تطرقنا من خلاله إلى التعريف بأهمية حوض البحر الأبيض المتوسط وتعريف بالبحرية العثمانية والتطرق إلى تاريخ البحرية الجزائرية خلال عهد البيلربايات والباشوات والأغوات.

ـ المبحث الأول: دارت دراستنا حول البحرية الجزائرية في عهد الدايات، فتحدثنا عن طائفة الرياس وتشكيل الأسطول وما ترتب عن ذلك من غنائم المتمثلة في الأسرى والإتاوات.

ـ المبحث الثاني: تطرقنا فيه إلى مفهوم القرصنة البحرية، وواقعها كنشاط بحري للجزائر بين اللصوصية والجهاد، وذكرنا أهم الحملات التي خاضها الأسطول الجزائري والتي أدت إلى ضعفه، وكذلك تحدثنا عن أهم العوامل التي أدت إلى تراجع البحرية الجزائرية وتدهورها.

ـ المبحث الثالث: لقد خصصناه للعلاقات الخارجية للجزائر مع الدول الأوروبية في عهد الدايات، وتأثير النشاط البحري للجزائر في علاقاتها مع الباب العالي.

المنهج المعتمد:

اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي، فلقد اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي في وصف البحرية الجزائرية خلال عهد الدايات من حيث السفن والغنائم، أما المنهج التحليلي في تحليل ما توثق لدينا من مادة علمية.

المصادر والمراجع:

أما عن المصادر والمراجع فمن حيث الأهمية نذكر الوثائق الأرشيفية وهي مجموعة من المراسلات العثمانية العائدة لفترة حكم الدايات، مذكرات أحمد شريف الزهار، ومذكرات وليام شالر وكتاب حمدان خوجة المرآة وغيرها.

أما المراجع فهي كثيرة ومتنوعة وأهمها دراسات ناصر الدين سعيدوني المتخصصة في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وكتابات حنيفي هلايلي ومنور المروش التي أفادتنا كثيرا في دراستنا.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تطرقت إلى موضوع البحرية الجزائرية باعتبارها موضوع هام من أهم ما اعتمدنا عليه:

- حكيمة حدون وخديجة بن رنجة، مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية خلال فترة الدايات " حروب اليونان نموذجا 1821 - 1829 "، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة خميس مليانة 2016، ولقد أفادتنا هذه الرسالة في نقطة التي تتعلق بمعركة نفارين.
- عطلي محمد أمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، رسالة ماجستير، جامعة غرداية، 2012.
- عدنان بوصلاح، أضواء على علاقات الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني " 1519 - 1830م "، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة المسيلة، 2019م.

الصعوبات:

ـ كثرة المراجع والدراسات ما أدى إلى الضياع وصعوبة التحليل.

ـ الاعتماد على نسخ الكتب الالكترونية مما أدى إلى تعب الباحث.

ـ عدم التمكن من اللغة الأجنبية.

ـ غياب التوجيه وصعوبة التواصل في ظل " أزمة كوفيد 19".

مدخل

لمحة تاريخية عن البحرية العثمانية

في الجزائر

البحرية العثمانية:

إن توسيع الامبراطورية العثمانية في البحر الأسود وفي البحر المتوسط حتى سواحل افريقيا الشمالية، والصراع ضد القراصنة على اختلاف أنواعهم، وحماية التجارة والاتصالات بين أجزاء الأرض العثمانية كل هذه الأهداف أرغمت السلاطين على تأسيس قوة بحرية، وقد تمكنوا من الوصول إلى ذلك على نحو رائع بقدر ما أن السيادة البحرية في البحر المتوسط كانت للأتراك، خلال عهد سليمان القانوني بشكل أكثر تحديدا بين انتصار بريقيزا في عام 1538م وهزيمة ليبانت في عام 1571م[1].

لقد اتخذ العثمانيون البحرية البيزنطية وخاصة الايطالية قدوة لهم وبذلك تمكنوا من تأسيس قوة بحرية فائقة القدرة وبذلك فإن تاريخ البحرية التركية عبارة عن 900 سنة[2].

ومنذ عهد أورخان بدأ الباب العالي تزويد نفسه بقوة بحرية، وكانت قاعدتها في غاليبولي، وقد استخدمت الإدارة العثمانية بالدرجة الأولى بحارة لها من الأتراك وأيضا من اليونانيين والايطاليين والقطالونيين بل ومن فرنسيي بروقانس[3].

أصبحت البحرية العثمانية اعتبارا من 1390م قوة بحرية لا يستهان بها ولقد تمكن محمد الفاتح قبيل 1470م من جعل البحرية معادلة لقوات البنادقة التي كانت أقوى قوة بحرية آنذاك، كما قام بايزيد الثاني بصرف جهود جبارة للمحافظة على مستوى الأسطول وتطويره[4].

كما اهتم السلطان سليم الأول بالأسطول فقام بتوسيع ترسانة القرن الذهبي التي أقدمت في عهد السلطان محمد الفاتح وأمر بإنشاء سفن جديدة، ولما دخل خير الدين بربروس حاكم

[1] روبير ماتتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م، ص306م.

[2] يليماز أوزتونا، موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، تر: عدنان محمد سلمان، مج3، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010م، ص420.

[3] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، المرجع السابق، ص191.

[4] يليماز أوزتونا، المرجع السابق، ص421.

الجزائر في خدمة العثمانيين على أيام السلطان سليمان القانوني بلغ الأسطول العثماني ذروة قوته، ففي زمن قيادة بربروس للأسطول تحول البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة عثمانية[1].

الترسانات البحرية:

لقد أقيمت أولى الترسانات الكبرى في غاليبولي على أيام السلطان يلديرم بايزيد، والسفن التي شيدت في تلك الترسانة هي السفن التي استخدمها بايزيد في محاصرة استانبول، أما الترسانة ذات المزالق المتعددة التي أقامها السلطان الفاتح في القرن الذهبي، فقد ظلت على حالها لمدة نصف قرن، ثم قام سليم الأول ومن بعده سليمان القانوني بتوسيعها حتى لأصبحت الترسانة الكبرى الثانية[2].

وبعد دخول العثمانيين مصر وسواحل البحر الأحمر استغلوا الترسانة المملوكية في السويس وشكلوا هناك أسطولا قويا لمواجهة السفن الاسبانية والبرتغالية ولقد كانت قيادة السويس منوطة بولاية مصر، وبعد فتح المجر أقامت الدولة أسطولا للعمل في نهر الطونة وكان يطلق عليه اسم الأسطول الخفيف وهناك أسطول مهري آخر ليعمل في الفرات، وترسانة " بيره جيك " هي التي تتولى تضييع السفن العاملة فيه[3].

ولقد اكتسبت ترسانة جالاتا الصدارة في عهد سليمان القانوني فهذه الترسانة تضم 123 حوضا في عام 1157، حيث يمكن لكل حوض منها استيعاب سفينتين شراعيتين موضع

[1] أكمل الدين إحسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، ج1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999، ص 416.

[2] أكمال الدين احسان أغلو، ج1، المرجع السابق، ص ص 416- 417.

[3] نفسه، ص417.

بناء أو موضع إصلاح، وفي حالة الضرورة تعمل ترسانات أخرى أكثر تواضعا في سينوي وفي إزميت أو ترسانات تقام بصورة مؤقتة على مقربة من مواد البناء[1].

ولقد كان الأمراء الكبار للترسانة بالتسلسل هم ترسانة اميني (امين مدير)، ترسانة كتخداسي (معاون)، وترسانة باشمعماري والأخير هو مهندس إنشاء السفن، وقائد القوات البحرية هو الآمر على ترسانة اميني كان تحت إشرافه 50 ألف عامل أستاذا ماهرا، نجارا، وما يقرب من 10 مهندسين للسفن، ولقد كان يعمل في معمل السفن الأسرى الذين يعملون في المعمل والذين يتراوح عددهم بين 30 و 50 ألف والجدافون الذين يجدفون في السفن هم أسرى حرب أسروا من المسيحيين[2].

السفن:

يتألف الأسطول العثماني من سفن شراعية أساسا، والنموذج العادي لها الذي يحركه 150 من محركي المجاذيف، يقل علاوة على الربان والقائد وعددا من رجال المدفعية وعدة عشرات من الجنود وكان هذا الأسطول ينشر ما بين 100 و 150 وحدة بنيت في ترسانتي غاليبولي وجالاتا[3].

وبقيت السفن تسير بالمجاذيف حتى عام 1700، وفي القرن السابع عشر استعملت السفن الشراعية التي تسمى " كاليون " بجانب السفن التي تسير بالتجديف[4].

ولقد كان يتكون الأسطول العثماني من سفن شراعية وأخرى ذات مجاديف وثالثة تعمل بالشراع والمجداف معا، والسفن التي تسير بالمجاديف تتميز عن بعضها البعض بعدد المجاديف المستخدمة فيها مثل: قره مرسل، كوتوك، وفرقاطه.

---

[1] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، المرجع السابق، ص306.

[2] يلماز أزوتونا، المرجع السابق، ص ص 435 - 436.

[3] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، المرجع السابق، ص 306.

[4] يلماز أزوتونا، المرجع السابق، ص 436.

أما السفن التي تسير بالشراع فكانت نوعين أحدهما بعمودين والثاني بثلاثة أعمدة وأهم السفن الشراعية ذات العمودين هي بريك، ثالويه، أما أهم السفن الشراعية ذات ثلاث أعمدة فهي كروت وغليون، أما الأسطول الذي يسير في مياه الأنهار الذي يطلق عليه اسم الأسطول الخفيف فكان يتشكل من السفن الصغيرة الحجم الخفيفة[1].

ومن أنواع السفن المجدافية ما يلي:

- فرقاطة: عدد الجدافين 40 - 102.

- بركنده: عدد الجدافين 60 - 144.

- كاليا: عدد الجدافين 120 - 192.

- قادرغه: عدد الجدافين 200.

- باشتاردا: عدد الجدافين 260 - 504[2].

وكان الأسطول العثماني يضم أعدادا من الجنود والعمال وأرباب الصنايع المختلفة، كالقرب واللوندية وعمال المجاديف وعمال اليومية وعمال الفلاحين وعمال الأشرعة والمدفعية، أما اللوندية فهم يمثلون جنود البنادق والحراس في الأسطول ويجري جمعهم من بين الأتراك ومن الأورام القاطنين في الجزر، وينقسم عمال المجاديف إلى قسمين أحدهما من أسرى الحرب والثاني المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة من الرعايا العثمانيين، غير أن القسم الأصلي من المجدفين كان يتشكل من شبان الرعايا العثمانيين الذين جرى جمعهم لهذا الغرض[3].

أهمية البحر الأبيض المتوسط " جغرافيا، تاريخيا، واقتصاديا ":

---

[1] أكمل الدين إحسان أغلوا، المرجع السابق، ص 420,

[2] يلماز أزوتونا، المرجع السابق، ص 436.

[3] أكمل الدين إحسان أغلوا، المرجع السابق، ص 421.

البحر المتوسط أو الأبيض المتوسط بحر داخلي يربط ما بين أهم ثلاث قارات في العالم أوربا وإفريقيا وآسيا ويشمل حوضا يجمع عدد لا متناهي من القوميات واللغات والثقافات المطلة على ضفتيه الجنوبية والشمالية، ويتصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق في الحوض الفردي منه، ويمثل مسطحا مائيا مهما جغرافيا وحضاريا لا يضاهيه في ذلك أي بحر داخلي على الإطلاق[1].

إن للبحر الأبيض المتوسط يتحكم عبر مداخله في خطوط الملاحة البحرية الداخلية إلى الحوض عامة سواء تلك القادمة من العالم الجديد وإفريقيا الغربية والشرقية أو الشرق الأدنى والأوسط أو المتجهة نحو الشرق الأقصى عبر قناة السويس، وأصبح يشكل البحر المتوسط تاريخ شعوب وحضارات قامت على ضفتيه وأسست أهم حضارات التاريخ الإنساني[2].

لا يمكن معرفة تاريخ العالم والبحار الداخلية دون معرفة تاريخ البحر المتوسط بفضل سواحله التي لها أهمية كبيرة وذلك راجع للموانئ المنتشرة على ضفافه التي شكلت مراكز هامة للتجارة والتبادل الاقتصادي في دول الساحل، وعليه عرفت حركة السفن بذلك نشاط في مياه البحر الأبيض المتوسط تبدوا واضحة رغم تغير الأنظمة السياسية خاصة بالمغرب الذي شهد انتقال الحكم من منطقة إلى أخرى[3].

كانت أقوام منطقة البحر المتوسط تعيش على نتاج بعضها بعض، غذت حبوب مصر و أرزها امبراطورية روما وبيزنطة والعثمانيين، كما أثرت أخشاب الأرز اللبنانية على

[1] محمد أمين عطلي، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية بغرداية، 2011 - 2012م، ص ص 19 - 20.

[2] نفسه، ص21.

[3] هشام بوشاهد، عبد الحميد فراقة، البحرية الجزائرية ونشاطها في البحر الأبيض المتوسط " 1518 - 1830 "، شهادة الماستر، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2015- 2016م، ص 7.

صناعة السفن في البحر المتوسط كله، ولهذا أن التدخل الاقتصادي هذا وحد البنى الفلسفية والعقائد حتى لو دخلت تلك الأديان حال صدام أحيانا[1].

ومما يميز البحر الأبيض المتوسط وزاد من أهميته وفرة الموانئ والمرافق والمخابئ المنتشرة على طول سواحله، وكما أن الموانئ التي انتشرت على ضفتي البحر المتوسط، شكلت مركزا هاما للتجارة والتبادل الاقتصادي بين شعوب أغلبها غربية[2].

وإن العلاقات التجارية لحوض البحر الأبيض المتوسط لم تنقطع عبر العصور التاريخية حيث بلغت تطورا كبيرا في القرنين 12 و 14م، ثم عرفت انخفاضا وشهدت تعقيدا عقب القرن 15 و 16م وهذا راجع لكونها أصبحت محكومة بالمعاهدات والاتفاقيات التجارية المبرمة[3].

كما عرف البحر المتوسط صراعا كبيرا بين أهم الضفتين الجنوبية والشمالية خاصة بعد ازدياد نشاط البحرية العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط واصطدامها بإسبانيا أكبر قوة بحرية آنذاك، حيث كان هذا سببا في أغلب المواجهات التي قامت بين الدول المجاورة الحوض الغربي للمتوسط خاصة بعد قدوم الإخوة بربروس على الحوض الغربي المتوسط وخوضهم لحرب ضد الصليبيين اشتملت على ثلاثة محاور أساسية: الأولى هي السيطرة على الدم والثانية لإنقاذ أهل الأندلس والثالثة لمنع الاسبان من احتلال شمال افريقيا والهيمنة على المتوسط[4].

[1] ايليبر أورتايلي، العثمانيون في ثلاث قارات، تر: عبد القادر عبد اللي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2014م، ص39.

[2] محمد أمين عطلي، نفسه، ص ص 22- 23.

[3] هشام بوشاهد، المرجع السابق، ص 8.

[4] محمد أمين عطلي، نفسه، ص ص 32 - 23.

ولقد كانت الامبراطورية العثمانية آخر امبراطوريات المنطقة الرائعة المؤسسة في عالم البحر المتوسط وهي دولة احتضنت ثقافاته كلها مع إرثه، ونقلتها إلى العالم المعاصر وكانت هذه وظيفتها التاريخية إمبراطورية متوسطية[1].

سيطرة العثمانيين على البحر الأبيض المتوسط:

بعد أن استولى العثمانيون على رودس جرى تأمين الطريق البحري إلى مصر نسبيا، ولم يبق في طريق السيادة على شرق المتوسط إلا عقبة واحدة وهي جزيرة قبرص[2]، ولقد تمكنت الدولة العثمانية من فتح قبرص وكويت في القرن 17 وبذلك أكملت السيطرة على البحر المتوسط تقريبا، حيث لم تكن الإمبراطورية العثمانية في عصر السلطان سليمان القانوني وحدها في البحر المتوسط بل كانت تتقاسمه مع آل هابسبورغ في إسبانيا للغرب ولكنها كانت قوة مسيطرة في عالم البحر المتوسط[3].

استطاع بروباروس من خلال تكتيك حربي وليس عن طريق صدام دام حاد أن يحترم أسطول التحالف في بروزه، [4]حيث تجمع قواد أساطيل الدول المتحالفة وهي إمبراطورية شارلكان والبندقية والبابا والبرتغال في جزيرة كورفو، بينما الأسطول العثماني يوالي الاستيلاء على الجزر الواحدة تلو الأخرى وقد دارت المباحثات فيما بينهم حول تكليف شارلكان بالاستيلاء على الجزائر، وتكليف جمهورية البندقية باسترجاع الجزر التي استولى عليها الترك، ولقد قام أميرال الأسطول البابوي كريماني بالهجوم على قلعة بروزه ومحاصرها لكنه لم يوفق في حصاره لها، فعاد إلى كورفو فور علمه بوصول الأسطول العثماني، فوصل إلى كورفو في 22 سبتمبر ومعه تسع وأربعون سفينة، وتقدم بربروس بسرعة نحو بروزه بعد أن قصف كفالونيا وذلك لعلمه بتجمع سفن المتحالفين فيها، ولما لم يتمكن أسطول التحالف من الصمود أمام نيران السفن العثمانية الكثيفة قرر

[1] إيلبير أورتايلي، المرجع السابق، ص 35.

[2] أكملي الدين إحسان أوغلو، المرجع السابق، ص 42.

[3] إيلبير أورتايلي، ص ص 42- 43.

[4] أكمل الدين إحسان أوغلو، المرجع السابق، ص 42.

التراجع وانتهت المعركة في 28 سبتمبر سنة 1539م، وبذلك أصبح الترك حكاما للبحر الأبيض بعد موقعة بروزه الشهيرة[1].

وعلى ذلك يكون العثمانيون قد كشفوا عن بداية تفوقهم في غرب المتوسط، ثم جاءت الهزيمة الفادحة للأسطول الإسباني أمام ساحل الجزائر والذي كان يقوده الإمبراطور بنفسه عام 1541م.

ثم تم فتح جربة قاعدة الاسبان المهمة عام 1560م فأكدت سيطرة العثمانيون على البحر الأبيض المتوسط وتحول إلى بحيرة عثمانية بفضل الأخوة باربا روس[2].

ولقد بقيت القوة البحرية العثمانية الأولى في العالم مسيطرة على البحر الأبيض حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر، وحافظت البحرية العثمانية على كونها القوة البحرية الثالثة في العالم حتى 1878م بعد انكلترا وفرنسا، ثم تدهورت بسرعة إلى المراتب الأخيرة، إذ أنها كانت محرومة من المصادر المالية التي تمكنها من مواجهة أعباء سياسة قوة بحرية عظمى[3].

لمحة عن نشأة البحرية الجزائرية:

كان الجهاد البحري في الجزائر رد فعل مباشر على التهديدات المسيحية التي اتخذت إثر سقوط الأندلس في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي شكل حملة صليبية يباركها البابوات بروما وتزكيها الحكومة الأوروبية وتتزعمها إسبانيا الكاثوليكية التي بدأت تتدخل بشؤون سواحل إفريقيا الشمالية[4].

---

[1] احمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، أيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م، ص 261.

[2] أكمل الدين إحسان أوغلو,المرجع السابق، ص 42.

[3] يلماز أزتونا، المرجع السابق، ص 424.

[4] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 43.

إن النواة الأولى للجيش الجزائري كانت بحرية تكونت من رجال البحر العثمانيون الأوائل الذين دخلوا الجزائر مطلع القرن السادس عشر فلولا تدخل أولئك العثمانيون لكانت عرفت دول شمال إفريقيا نفس مصير الأندلس،[1] ولقد اتحد الصراع البحري منذ استقرار الأتراك بالجزائر أبعادا عالمية، للفوز بالسيادة على حوض البحر المتوسط الذي أصبح ميدانا للصدام بين القوة الإسلامية والقوة المسيحية [2] ومنذ ذلك الحين عرفت البحرية الجزائرية تطورا كبيرا من حيث السفن المستعملة حيث اعتمدوا على السفن الخفيفة والسريعة وتخلوا عن السفن الضخمة البطيئة التي لا تصلح للمناورة أثناء المعركة واهتموا بالكفاءة الهجومية سواء تعلق الأمر بالرجال أو السلاح[3].

كانت البحرية الجزائرية تتغذى عناصرها من المرتزقة المسيحيون وهم الأعلاج والمسلمون من مناطق الإمبراطورية العثمانية ثم الأقلية وهم الجزائريين من سكان الإيالة[4].

وقد بلغ النشاط البحري أوج قوته في منتصف القرن السابع عشر وأصبح يتحكم في أوضاع البلاد ويقوم عليه النشاط الاقتصادي للسكان بحيث غدت مغانم الجهاد البحري وما يتصل بها من أسرى وإتاوات وبذلك اكتسى النشاط البحري الجزائري صبغة سياسية وطابع مادي[5].

كما وصف الأوروبيون هذا الجهاد والنشاط البحري الجزائري بالقرصنة [6] وفسروا اعتداءاتهم الصليبية بأنها دفاع عن النفس[1].

---

[1] أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م - 1830م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص47.

[2] سعيدوني، بوعبدلي، نفسه، ص44.

[3] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830، دار هومة، 2012، ص 321.

[4] حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 47.

[5] سعيدوني، بوعبدلي، نفسه، ص45.

[6] القرصنة: في اللغة تعني: السطو على سفن البحر، وهي غزو بحري يقوم به فرد أو جماعة قصد تحقيق منفعة خاصة أو عامة على سواحل أو مياه دولة أو بحر ويكون باستعمال القوة على أي وسيلة نقل بحري بطريقة غير قانونية، للمزيد

الحقيقة أن قرصنة البحارة الجزائريين كانت نشاط مشروع حيث كان يدفع جزء من الغنائم للإيالة[2].

ومنذ أواخر القرن السابع عشر تعرض النشاط البحري الجزائري إلى الضعف والانكماش وتزايد هذا الضعف حتى أدى إلى تلاشي القوة البحرية للإيالة الجزائرية في الربع الأول من القرن التاسع عشر فالبحرية الجزائرية في الفترة الممتدة من 1634 - 1789 تعرضت إلى عشر هجمات ألحقت أضرار بالغة بالبحرية وتحسنت من 1789- 1815 نتيجة إنشغال دول أوربا بالحروب و الثورة لكن الحملة الإنجليزية 1816 وضعت حدا لهذا الإنتعاش المؤقت للبحرية الجزائرية[3].

ومنذ ذلك الحين لم يعد هناك أسطول قوي على النحو الذي كان عليه في القرن السابع عشر وجاءت بعد ذلك معركة نافرين باليونان لتقضي عليه نهائيا في عام 1827م[4].

1 - البحرية الجزائرية في عهد البيلربايات (1519 - 1587 م):

عرفت البحرية الجزائرية طيلة تاريخها الطويل عدة مراحل متميزة، فبعد الماضي البحري العريق في الفترة السابقة للإسلام، تشكلت النواة الأولى للقوة البحرية الجزائرية إثر الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع الميلادي [5] ومع تغيير موازين القوى بالمتوسط باشتداد التنافس الإسباني - العثماني من أجل تزعم السيادة على الحوض الغربي

انظر: حسام الدين بوعيسى: القرصنة البحرية وتأثيراتها على المنطقة العربية أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص علوم سياسية وعلاقات دولية، جامعة باتنة، 2013، ص23.

[1] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص49.

[2] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة: تعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 69.

[3] سعيدوني، بوعبدلي، المرجع السابق، ص 45.

[4] شويتام، نفسه، ص52.

[5] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 129.

للمتوسط إضافة إلى تفاقم الخطر المسيحي على السواحل الجزائرية، جعل نشاط البحرية الجزائرية يتحول إلى الدفاع ومهاجمة السفن الأوروبية[1].

وتمثل هذه الفترة بداية النشاط البحري الجزائري في العهد العثماني باعتلاء بابا عروج [2]حكم الجزائر سنة 1518م وبعد استشهاده خلفه أخوه خير الدين بروبروسا [3] الذي تم في عهده ربط الجزائر رسميا بالدولة العثمانية ـ عقب إرسال رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول [4]مضمونها طلب العون ـ فقبل السلطان بذلك، وتم تعيين خير الدين بربروسا أول حاكم على الجزائر أطلق عليه لقب البيلرباي [5] من طرف السلطان العثماني [6] كان البايليربايات من كبار رجال البحر الذين يعود الفضل إليهم في تنظيم القوة البحرية الجزائرية وفي التفوق البحري العثماني في المنطقة الغربية للبحر الأبيض المتوسط حيث تمكنوا من أن يجدوا لأنفسهم قاعدة شعبية تساعدهم في مهامهم السياسية والعسكرية مما أفضى على عهدهم نوعا من الاستقرار والهدوء فمبدؤهم كان تحرير البلاد من الاحتلال الإسباني[7].

---

[1] شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م ـ تع: محمد مزالي، البشير بن سلامة، ط4، دار التسوية للنشر، 1983، ص 329.

[2] بابا عروج، من جزيرة مدلي من بحر الأرخبيل من أب تركي وأم أندلسية ولد سنة 1464م وتوفي سنة 1518م في تلمسان اشتهر بمهارته العالية في البحار، للمزيد: انظر: أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792م، دار البعث، الجزائر، ص 157.

[3] خير الدين بربروسا : ولد سنة 1466م اسمه الحقيقي خضر بن يعقوب أطلق عليه بربروسا نسبة للحية الحمراء توفي سنة 1546م، للمزيد انظر: عزيز سامح أكثر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص41.

[4] سليم الأول: تاسع سلاطين الدولة العثمانية ولد سنة 1470م، اعتلى عرش السلطنة سنة 1512م، إلا أن توفي سنة 1520م، لقب ب " ياووز " أي الشجاع والشديد، جعل الدولة العثمانية دولة عالمية للمزيد انظر: محمد سهيل طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013، ص 176.

[5] البيبرباي: لقب أطلق على أول حاكم عثماني في الجزائر ويعني أمير الأمراء أي الرئيس الأعلى الذي يتولى الحكم في شمال إفريقيا للمزيد، انظر: أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص 198.

[6] سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671- 1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2012، ص 26.

[7] حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص 131.

كما قاموا بإنشاء مراكب بحرية وتطوير ميناء الجزائر وتحصينه وتجهيز السفن بالمدافع واتخذوا من المدن الساحلية موانئ لهم ينطلق منها الأسطول الجزائري الذي لعب دورا كبيرا في حوض البحر الأبيض المتوسط لمدة قاربت ثلاثة قرون [1] ، فالجهاد البحري الذي كان يقوم به رياس البحر سمح لهم بمحاصرة وتصفية الجيوب الإسبانية، وبالتالي وضع حد للتوسع المسيحي في شمال إفريقيا حيث عمل خير الدين على استرجاع قلعة البيوت سنة 1529م وتحريرها من أيدي الإسبان [2] وفي سنة 1541م تمكنت الجزائر من صد حملة شارلكان[3] الصليبية تحت حكم حسن آغا [4]وتمكن صالح رايس[5] من تحرير بجاية [6] والقضاء على الدولة الزيانية [7] نهائيا سنة 1555م وتوسيع نفوذ السلطة المركزية لتشمل مختلف الأقاليم الجزائرية[8].

وتجدر الإشارة إلى مشاركة الأسطول الجزائري في معركة ليبانتو 1571 التي وقعت بين الأسطول المسيحي المكون من 300 سفينة والأسطول العثماني الذي احتوى 250 سفينة

[1] حكيمة حدون، خديجة بن رنجة، مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية خلال فترة الدايات (حروب اليونان نموذجا 1821 - 1829)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص حديث ومعاصر، جامعة خميس مليانة، 2016، ص7.

[2] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص28.

[3] شارلكان: ولد حوالي عام 1500م، وتوج ملكا على إسبانيا وفي سنة 1512م توج إمبراطورا على ألمانيا كوريث شرعي لآل الهابسبورغ بسبب هزيمته أمام الجزائر تم إلقاء تاجه في البحر والإنزواء في معبد الرهبان حتى توفي سنة 1588م، للمزيد: انظر عزيز سامح أكثر، المرجع السابق، ص 166.

[4] حسن آغا، من سواحل سردينيا تبناه خير الدين وعلمه ودربه اشتهر بذكائه وعقلانيته عين وكيلا لخير الدين في الجزائر، توفي سنة 952ه للمزيد انظر: عزيز أكثر، المرجع نفسه، ص 154.

[5] صالح رايس: ولد في الإسكندرية من أهم رفاق بربروسا عين سنة 1552م ببلرباي على الجزائر توفي سنة 1556م بالطاعون، للمزيد انظر: عطلي محمد الأمين، المرجع السابق، ص 50.

[6] بجاية: مدينة مبنية في أحسن نواحي إفريقيا، أسسها الكنعانيون ودعوها صلدة ثم أصبحت رومانية تحت اسم صلداي وخربت بعد ذلك على يد الوندال ثم سميت بجاية على اسم إحدى القبائل البربرية للمزيد انظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر 2010، ص 245.

[7] الدولة الزيانية: أسستها قبيلة لني عبد الواد سنة 633ه على يد يغمراسن بن زيان اتخذت تلمسان عاصمة لها، سقطت سنة 1555م، انظر: أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص 40.

[8] عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، طبعة خاصة، الجزائر، 2007، ص ص 44 - 48.

وكانت مشاركة الجزائر بقيادة علج علي [1] الذي خرج على رأس حوالي 50 سفينة التحقت بالأسطول العثماني حيث انتهت المعركة بهزيمة الأسطول العثماني راحت من بينها 30 سفينة جزائرية وبالرغم من ذلك استطاع علج علي الانسحاب وأشرف على تجديد الأسطول الإسلامي[2].

وعليه فإن الأعمال الكبرى للأسطول تدل على بداية النشاط البحري للدولة الجزائرية الحديثة التي أصبحت منتظمة ومنضوية تحت لواء الدولة العثمانية، هذا النشاط الذي تركز على أعمال الغزو والجهاد ضد الإسبان وباقي الدول المسيحية المتحالفة، ومن الواضح أن الجهاد البحري الذي قام به رياس البحر له دور كبير في بروز الدولة الجزائرية وتنامي قوتها البحرية.

البحرية الجزائرية في عهد الباشوات (1587 - 1659م):

تغيرت معطيات المشاكل التي كانت تواجه الدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط فالعداوة خفت بينها وبين إسبانيا وبدأت العلاقات مع فرنسا تصاب بنوع من الفتور وأصبح توحيد مناطق شمال افريقيا تحت إمرة واحدة أمرا غير مرغوب فيه، لذلك قررت السلطنة العثمانية وضع حواجز بين دول شمال إفريقيا وتسير كل واحدة منها بواسطة باشا [3] يعين من قبل الباب العالي لمدة 3 سنوات [4] ، حيث ساعد استغلال إبالة الجزائر تنمية القرصنة بكل حرية من دون مراعاة للاعتبارات السياسية التي كان يفرضها الباب العالي على البيلرباي ونتج عن ذلك تفاقم نشاط القرصنة وضعف الأساطيل الأوروبية والصراع

[1] علج علي: ولد سنة 1520 جنوب إيطاليا، تم أسره والمجيء به إلى الجزائر سنة 1536م أطلق عليه لقب قلج أي السيف عين في منصب قبودان باشا توفي سنة 1587م، انظر عطلي، المرجع نفسه، ص 50.

[2] يمينة درياس: المكتبة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص103.

[3] الباشا: لقب عثماني أطلق على رتب متعددة عسكرية ومدنية، كما استخدم للعساكر الحائزين على رتب أمير، اللواء والفريق والمضير، للمزيد انظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ط3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 52.

[4] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، المرجع السابق، ص 410.

بين الأمم النصرانية كان القرن السابع عشر العهد الذهبي للبحرية الجزائرية إذ غنيت الجزائر بغنائم بحرية هائلة تراوح عدد الأسرى من 25 ألف إلى 35 ألف أسير وتعزز الأسطول البحري بسفن شراعية كبيرة وتجاوزت الغنائم أثناء سنتي (1615 - 1616م) مليونين وحتى ثلاث ملايين من الليرات وأثرت كل السكان بفضل المعاملات الناتجة عن هذه الغنائم البحرية وتجارة العبيد ومدى سيطرة طائفة الرياس وأصبحت البحرية الجزائرية آنذاك مورد لمقتضيات التجارة والعلاقات الدولية[1].

كان الملك الفرنسي قد منع رعاياه المتجارة في الموانئ الجزائرية وتلا ذلك تخريب باستيون فرنسا في القالة [2] ، نتج عنه توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية طيلة عهد الباشوات[3].

استمرت الأحوال على ما هي عليه حتى استدعى الباب العالي رياس البحر الجزائريين لاعتراض السفن الأوروبية التي تشتغل بالقرصنة وتهريب الحبوب [4] وبينها البحرية الجزائرية عن طريقها إذ داهمتها عاصفة أجبرت البواخر على الاحتماء بميناء فالون فهاجمتهم القوات البندقية البحرية ومن كثرة الوحدات الجزائرية وتداخلها جعلها لا تستطيع أن تستعمل المدافع ضد العدو وهكذا تكبدت البحرية الجزائرية خسائر جسيمة ولم تتمكن الجزائر منذ هذه الواقعة من استرجاع قوتها بالرغم من توعد الباب العالي بتعويض الخسائر[5].

---

[1] شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 352، 351.

[2] القالة: تعرف في القديم بمرسى الخزر، نالت فرنسا بفضلها امتياز ضد المرجان، أصبحت من أعظم وأبدع مراكز الاصطياف والشتاء، قريبة إلى التخوم النفوسية للمزيد انظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 282.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص 115.

[4] أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1639 - 1671)،البصائر الجديدة، 2013، ص 33.

[5] مبارك بن محمد الهلايلي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 167.

البحرية الجزائرية في عهد الأغوات (1659 - 1671م):

يعتبر هذا العهد عهد تسلط الجيش على الحكم ويمثل أحلك فترة في تاريخ الحكم العثماني في الجزائر [1]، وذلك نظرا لإقدام قادة الجيش على خلع الباشا وتعويض هذا القائد بقائد آخر من فئتهم أطلق عليه اسم الآغا [2] عن أن لا تزيد مدة حكمه عن شهرين فقط [3] لم يكن بإمكان الأغوات وقف نشاط القرصنة الجزائرية لعجزهم عن فرض سيطرتهم على الطائفة القوية ومن جهة أخرى أن القرصنة كانت ضرورية لوجود الأرجاق [4] ، ولأن

---

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص135.

[2] الأغا: مصطلح من أصل فارسي، ويعني السيد، أطلقه الأتراك على الضباط من الانكشارية التي لا يحتاج عملهم إلى معرفة القراء، للمزيد انظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 15.

[3] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص62.

[4] الأوجاق: كلمة أطلقت على مجتمع أرباب الحرف، كما أطلقت على الصنف من الجند وهي فرق من العساكر في الجيش الانكشاري، للمزيد انظر: سهيل صابان، المرجع نفسه، ص42.

موارد النشاط البحري اعتبرت مصدرا للتنمية الاقتصادية [1]ذلك أن سلطة الديوان [2] كانت مساندة لطائفة الرياس سالكة بذلك سياسة وسطا بين الصلح والحرب [3]حيث مارس القراصنة النشاط البحري ممارسة شديدة وعنيفة من خلالها وجهوا ضربات قوية ومنظمة للسواحل الإيطالية والإسبانية وهاجموا كل السفن الأوروبية [4]وتقدر المراكب البحرية التي استحوذ عليها أولئك الرياس سنة 1661م بتسع مراكب هولندية واثني عشر مركبا إنجليزيا واثني عشر مركبا فرنسيا وإيطاليا[5].

ويرجع الفضل في تحقيق هذا التفوق البحري إلى نوعية السفن المستعملة التي تميزت بالانخفاض والسرعة، مما سمح لها بتنفيذ عملياتها الحربية بكل نجاح[6] ، إلا أن تراجع النشاط البحري بسبب معاهدات التقارب والصلح مع مختلف الدول الأوروبية إضافة إلى مشاركة الأسطول الجزائري في حرب كويت (1645 - 1669م) ضد البنادقة وحلفائهم المسيحيين[7].

اشتدت حالة الحروب البحرية بين فرنسا والجزائر وعادت الأضرار على التجارة الفرنسية وأوضاع الجزائر الداخلية وتدخل ضد الصراع على الجزائر قراصنة الإنجليز والإسبان والهولنديين [8] رغم معاهدات الصلح التي تمت سنة 1666م، إلا أن الهجومات لم تتوقف وبذلك آثار سخط طائفة الرياس التي اجتمعت آنذاك وحولت تمرد حكم الآغوية

[1] محمد خير فارسي، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1969، ص68.

[2] الديوان: كان بمثابة مجلس وزراء موسع، يعتبر أعلى سلطة بمدينة الجزائر وهيئة مساعدة للحاكم حيث شكل الجهاز الأساسي الذي ارتكزت عليه الحياة السياسية ابتداء من القرن 18م، للمزيد انظر: عائشة غطاس، المرجع السابق، ص112.

مبارك بن محمد الهلايلي الميلي، المرجع السابق، ص174.[3]

عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص399.[4]

مبارك الميلي، المرجع نفسه، ص174.[5]

أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص49.[6]

آلتر، المرجع السابق، ص398.[7]

يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص42.[8]

إلى انقلاب عن الآغا وتعويضه بنظام جديد هو نظام الدايات الذي اعتبر انتصارا لطائفة الرياس[1].

ويمكن القول أن اليولداش نجحوا في قلب نظام الحكم والانفصال عن العثمانيين والحد من سلطة الرياس، لكن فشلوا في إنشاء نظام سياسي ديمقراطي ناجح، فكان الانقلاب على الباشوات عبارة عن انتقام من طائفة الرياس التي كانت كلمتها هي العليا وحققت نجاحات عديدة على مستوى البحر الأبيض المتوسط من بينها التصدي للتكتلات الأوروبية.

[1] مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 178.

المبحث الأول: البحرية الجزائرية في عهد الدايات

المطلب الأول: طائفة رياس البحر وديوان البحرية

المطلب الثاني: تشكيلة الأسطول " التجهيزات + الموانئ +السفن "

المطلب الثالث: الغنائم البحرية والأسرى

أ ـ طائفة الرياس:

لقد أدى استقرار الأتراك العثمانيين في مدينة الجزائر إلى تحويل نشاطات الجهاد البحري في البحر الأبيض المتوسط إلى مؤسسة كما تحكمت طائفة الرياس منذ تواجدها في دار السلطان بطريقة شديدة الانتظام من حيث التوظيف والتنظيم والتمويل والعمليات الحربية [1] ، اتخذت طائفة الرياس من مرسى الجزائر قاعدة لها وشكلت المحرك الاقتصادي للإيالة [2]وتشكلت طائفة الرياس من ثلاثة مصادر أساسية وهي: المرتزقة المسيحيون وهم الأعلاج، والمسلمون من مناطق الإمبراطورية العثمانية ثم الأقلية وهم الجزائريون من سكان الإيالة [3] تأثرت طائفة الرياس بالهجومات المتوالية التي شنها الأوروبيون على الجزائر أواخر عهد الأغوات، بصفتها مالكة الأسطول والمراكز البحرية ومن أجل ذلك اتفق الرياس على قتل آخر الأغوات عام 1671م وتحولت عملية القتل إلى انقلاب إذ استغلت طائفة الرياس الحادثة واتفقت مع الديوان على إلغاء نظام الآغوية واستبداله بنظام الداي [4] الأكثر استقرار[5] .

وقد وصل إلى المراتب العليا في أسطول الجزائر الرايس حميد [6] والذي قاده الأسطول خلال فترة من (1798 - 1814م) كان يبحر على متن السفينة كخادم في غرفة الضباط ليصل إلى رتبة رايس وتسلمه قيادة الأسطول[1].

---

[1] حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص44.

[2] أمين محرز، المرجع السابق، ص35.

[3] حنيفي هلالي، نفسه، ص47.

[4] الداي: تعبير تركي يعني الخال، ورد اسمه في المحاكم الشرعية " الأمين الهمام فخر الملوك العظام ..... "، وهو المسؤول الأول على الجهاز الإداري في الحكم للمزيد، انظر: ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص 160.

[5] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 46.

[6] الرايس حميد وا: ولد بالجزائر العاصمة اشتغل خياطا عند والده، وبعدها قرر هجر الخياطة ليشتغل بحارا تحت حكم الباي، اشتهر بالغنائم التي كان يجلبها جراء التعرض للسفن الأوروبية، إلا أن توفي على يد القصف الأمريكي في جبل طارق سنة 1815م، للمزيد: انظر علي تابليت: الرايس حميدوا أمبرال البحرية الجزائرية (1770 - 1815)، منشورات ثالة، الجزائر، 2006، ص4.

تنوعت مهام الرياس فمهنم من يعمل في المراكب الجهادية في البحار والبعض يمثلون رؤساء الطرق والبعض الآخر يقيمون في البلاد يتولون السفر مع غيرهم في البحار على ظهر المراكب مع اختلاف عددهم، حيث ارتفع عددهم خلال القرن السابع عشر وبدأ يتناقص أواخر القرن الثامن عشر[2].

حيث أوردت مختلف المصادر التنظيم الخاص بسفن الجهاد البحري ثلاث فئات رئيسية:

فئة القيادة: تضم ضباط الطائفة ابتداء من قبطان السفينة والباشا رايس ورايس العسة، ناظر الطاقم، الخوجة، كاتب الرايس وباشا ومانجي وهو مسؤول الدفة.

فئة المناورة: تضم ربانية السفينة الذين يتولون الأشرعة وكان أغلبية هؤلاء البحارة ينقسمون إلى بحارة مقدمة السفينة وبحارة المؤخرة إضافة إلى الأرقاء.

الفئة القتالية: تضم أفراد الانكشارية.

إضافة إلى وجود أطباء وجراحين وإما حرفي النظام المتبع في تشكيل طاقم السفينة بالجزائر مشابه للنظام المتبع في العاصمة العثمانية[3].

ديوان البحرية:

لم تكن عملية الغزو البحري عملية عشوائية وإنما كانت منظمة لها هياكلها ومؤسساتها التي أضفت عليها طابع العملية الحكومية ففي إطار إعادة التنظيم الأساسية لبنية الحكم أنشت هيئات قيادية جديدة في البحرية تستمر إلى غاية 1830م، ومن بين أهم هذه الهيئات لتنظيم الغزو البحري وشؤون البحرية نجد " ديوان الرياس " الذي يعتبر هيئة منبثقة عن

[1] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص49.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص176.

[3] أمين محرز، المرجع السابق، ص 36.

الديوان العام، وتعود فكرة إنشاء ديوان الرياس إلى مبادرة موزومورتو[1] جمع ديوان الرياس ثلاث مرات لمناقشة مسألة السلم مع فرنسا[2].

كان من اختصاصات ديوان البحرية تطبيق العدالة على جميع أفراد البحرية الذين يخلون بقواعد الانضباط أو يتعدون على القوانين كما كان يبث في المسائل المتعلقة بنشاط الطائفة وتقدير مصير الغنائم والأسرى. بالإضافة إلى فحص السفن وهوية الركاب والحمولة ما جعل الأوروبيون يطلقون عليه اسم مجلس الغنائم وكان يستدعي إليه كلما دعت الحاجة ويستشار قبل إقرار السلم أو الحرب، فأصوات الرياس هي التي ترجع الكفة وقبطان رايس هو يترأسه وتأخذ أحكامه بعد المنشور وبدون استئناف[3].

ومن بين أعضاء ديوان الرياس نجد:

ـ وكيل الحرج: كان يشغل منصب وزير البحرية، وزعت مهامه على مجالين أولها شؤون البحرية وثانيها العلاقات الخارجية، ففي المجال الأول أصبحت الصناعة البحرية والتسلح والغنائم وصيانة الميناء والصراع بين الرياس والمتطوعين وكل ما يتعلق بالنقل البحري من اختصاصه، وكذلك التزام القناصل الأوروبيين بالتعامل معه[4].

ـ قائد المرسى: وهو المسؤول عن الميناء، يعاين السفن الصادرة والواردة وكان يختار لهذا المنصب أحد الرياس المحنكين.

ـ واردیان باشي:

[1] موزومورتو: تولى الحكم بعد خلع الداي حسن سنة 1683م، يطلق عليه اسم الحاج حسين موزومورتو وهي كلمة إيطالية معناها نصف ميت لأنه تعرض للضرب بالسياط أصبح قرصانا ومن ذوي النفوذ، للمزيد، انظر: مصطفى بن عمار: الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671 - 1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، 2010، ص46.

[2] محمد امين عطلي ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر ةأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2012، ص79.

[3] أمين محرز، المرجع السابق، ص39.

[4] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص .

ـ باش ورديان باشي: الناظر العام لسجون الأسرى في مدينة الجزائر وكان يشرف على الوقوف لاستعدادات سفر السفن وتوزيع عدد المنحرفين والملاحقين الأسرى على متنها[1].

ـ القبودان: من أبرز ضباط البحرية الجزائرية فهو القائد العام للأسطول عند خروجه إلى عرض البحر[2].

ب/ تشكيلة الأسطول:

عرف الأسطول البحري الجزائري تطورا ملحوظا في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، ثم بدأ يضعف مع بداية القرن السابع عشر قبل أن يتلاشى نتيجة حملة إكسموث 1816م، ويعاد تكوينه بصفة جزئية في السنوات التي سبقت الاحتلال الفرنسي [3] ، حيث لعب الأسطول الجزائري دوره الرائد والممتاز في معظم أحداث حوض البحر المتوسط لمدة ثلاث قرون اعتبرت المراكب البحرية أداة الواجهة والبحر هو مصدر الغزو والغازات والعدوان واعتمدت الجزائر في تطوير أسطولها البحري على التجهيزات المحلية وعلى الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة مع الدول الأوروبية والدولة العثمانية.

1 - 1 ـ التجهيزات:

ـ نموذج من التجهيزات البحرية الأوروبية للأسطول الجزائري: كانت السويد والدانمارك وهولندا وانجلترا من أكثر الدول التي تزود الجزائري بالتجهيزات البحرية مثل: الأخشاب، الأشرعة، الصواري، ومادة البارود، القنابل، الحبال والكابلات الحديدية وغيرها.

[1] منور المروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع، الجزء2، دار القصبة للنشر، ص401.

[2] حنيفي هلايلي، نفسه، ص55.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص136.

ففي عام 1680 زودت هولندا الجزائر ب 16 مدفعا حديديا و8 مدافع بروتر و24 مرصادا و12 ألف قنبلة و600 ألف بارودة و800 بندقية و 400 شفرة سيف و25 حبلا غليظا من نوع كابلات.

وفي عام 1731 زودت السويد الجزائر ب 800 برميل بارودة و800 بندقية و6000 قنبلة و50 صاريا و8 كابلات و40 مدفعا، وفي عام 1778 أحضر مركب انجليزي للجزائر كميات كبيرة من المدافع والخشب وغيرها[1].

- نموذج من التجهيزات البحرية العثمانية للأسطول الجزائري: عقب التحاق الجزائر بالدولة العثمانية أرسل السلطان العثماني مجموعة من المدافع والبنادق وكميات من الذخيرة وألقي جندي انكشاري وتوالت بعدها المساعدات ففي 17 ديسمبر 1766 أرسل السلطان العثماني إلى الداي محمد عثمان باشا في مدافع منهم أربعة حديدية وأربعة نحاسية و38 صاربا صغيرا و250 صداقا صغيرا و200 مجداف كبير و250 عود للحمالين و 22 عود لدفعة السقي و60 عجلة لمدافع وغيرها.

وفي 1767 وصلت إلى الجزائر سفينة فرنسية وأخرى ساردينية قادمتين من اسطنبول بتجهيزات وكميات كبيرة من المدافع والخشب والصمغ العربي وغيرها[2].

1 - 2 / الموانئ:

لم يكن الانتقال في البحر أحسن حالا من البر فإذا نظرنا إلى البحر الأبيض المتوسط في القرن 16م لبرز مجالا مائيا لأحد اتساعه بالقياس إلى حركة السفن الشراعية وسرعتها التي كانت تحت رحمة الرياح، فالانتقال من مضيق جبل طارق إلى اسطنبول

[1] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص162.

[2] جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520 - 1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2018, ص72.

كان يستغرق شهرين أما الانتقال من مرسيليا إلى الجزائر فكان يستغرق أسبوع أو أسبوعين وحتى نهاية القرن 18 م كانت الأحوال على ما هي عليه[1].

الموانئ لم تكن عشوائية بل كانت منظمة لها مؤسساتها وإدارتها، وكذلك تحصيناتها [2] وبذلك كان مولد ميناء الجزائر الذي رغم أبعاده المحدودة أرعب بلدان العالم، ففيما يعرف الآن بمرفأ الإمارة البحرية كان يستقر أسطول الجزائر الذي قسم آنذاك حوالي سبعين باخرة وتم تحصين الجهاز الدفاعي ببناء سور محيط بالمدينة يمتد على مسافة ثلاثة كيلومترات به عدة أبراج للحراسة، وتم بناء منازل وأبواب أهمها باب البحرية أو باب الجزيرة الذي يشرف على الميناء، أما باب الترسانة فإنه يؤدي إلى دار الصناعة حيث تبنى السفن الشراعية الصغيرة وأبراج أخرى تكمل الجهاز الدفاعي على البحر مثل برج الغفار الذي شيده خير الدين[3].

وبمرور سنوات قليلة أصبحت المراكب والزوارق وغيرها تصنع في المراسى الجزائرية ولم يكن ميناء خير الدين ملجأ للسفن فقط وإنما كان ترسانة للصناعة أيضا[4].

ورغم طول السواحل الجزائرية كانت الموانئ المهيأة لممارسة التجارة من الشرق إلى الغرب محدودة وأهمها:

- **ميناء القالة:** ذو مرسى واسع متوفر على شروط الملاحة يقع على بعد 60 كلم شرق عنابة مقر المؤسسات الفرنسية الخاصة بصيد المرجان.

---

[1] يوسفي صرهودة، الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر (1700 - 1830م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة2 ، 2018، ص 120.

[2] روضة نصرات، مريم غميمة، الموانئ الجزائرية ودورها الاقتصادي والعسكري خلال عهد الدايات (1671 - 1830م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط والحديث، جامعة الوادي، 2017، ص28.

[3] بسام العسلي، خير الدين بربروسا والجهاد في البحر (1470 - 1547)، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980، ص 130.

[4] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص99.

- **ميناء عنابة:** تعتبر " بونة " محطة تجارية لشركات فرنسية، ميناءها جيد يتسع لمختلف أنواع السفن يحتوي على ثلاث مراسي هي: رأس الحمام، الفروية، وحصن الجنوبين.
- **ميناء ستورا:** ميناء يصلح خاصة لسفن الفرقاطة، يبعد عن سكيكدة ب 03 كلم، كان في العهد العثماني تابعا لعنابة.
- **ميناء جيجل:** عبارة عن خليج كبير لديه إمكانية إرساء كل أنواع السفن.
- **ميناء بجاية:** يقع ميناء بجاية في الجهة الغربية من الخليج الذي يحمل اسم " خليج بجاية " يتوفر على ثلاث أماكن صالحة لرسو السفن هي: مرسى سيدي يحي أبو زكرياء الذي كان يشرف على الخليج، مرسى المدينة ويمثل الميناء التجاري بالنسبة للمدينة و المرسى الصغير حيث توجد ورشة لصناعة المراكب الصغيرة.[1]
- **ميناء الجزائر:** عرف هذا الميناء تغيرات على يد خير الدين بربروس فبعد تهديم حصن البنيون، قام بردم الفراغ الموجود بين أكبر صخرة أو الجزيرة واليابسة ثم عمل على دمج الصخور أو الجزر الأربعة وبذلك شكل كاسر الأمواج المائي المعروف باسم " الملوك " ويوصف ميناء الجزائر على أنه أقوى نقطة دفاعية في المدينة إذ يضم 180 قطعة مدفعية جاهز للعمل، يمكن للسفن الرسو في جميع أنحائه، وهو أهم ميناء في الإيالة.
- **ميناء مستغانم:** يصفه مارمول كاريخال في القرن السابع عشر م، بالمرسى الجيد حيث يقول: " ..... مستغانم مدينة موغلة في القدم بناها سكان البلاد الأصليون على سفن جبل مطل على ساحل البحر لها مرسى جيد لكنه بعيد قليلا عن المدينة ..... "، هذا الميناء مقصد لكثير من السفن التجارية الأوروبية منذ القرن 16م.
- **ميناء آرزيو:** يقع شرق وهران ب 37 كلم.
- **ميناء وهران:** يعتبر من أهم الموانئ في الإيالة بعد ميناء الجزائر[2].

[1] يوسفي صرهودة, المرجع السابق, ص122.
[2] يوسفي صرهودة، المرجع السابق، ص122.

1-3/ السفن:

لقد نتجت فكرة تجهيز السفن في الجزائر عن الرغبة في الانتقام واتسمت بالعنف والضراوة ضد الإسبان وتصفية النزاعات الدينية، حيث كان الجزائريون يجهزون سفنا صغيرة تشبه سفن الإسبان وكانوا يراقبون السواحل ويقومون بنوع من التجارة[1].

والبحرية الجزائرية كانت في الماضي تتكون من عدد من السفن ذات المجاديف والسفن الثلاثية الصواري ولكنه في العصور الأخيرة أعيد تشكيلها عقب التحسينات التي أدخلها الأوروبيون على بناء السفن وعلى فن الحرب في البحر فدار صناعة السفن في الجزائر كانت تتلقى كميات مهمة من الخشب وجميع مستلزمات بناء السفن إضافة إلى إصلاح السفن بجميع أحجامها[2].

إن مقدرة الجزائريين على تجهيز وتسليحها للقتال لا تفوقها مقدرة أي شعب آخر في العالم والبارجة الجزائرية الكبيرة تنتقل على متنها 500 بحارا وضابطا.

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص69.

[2] وليام ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816 - 1821)، تق: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية الجزائر، 1982، ص62.

وحسب الدراسة التي أنجزها ألبير دونولالكس تطور الأسطول هنا من حيث سفنه كما في الجدول التالي:

عدد السفن	الحمولة (المدفع + قاذف حجارة)	السنة	السفن	الحمولة	السنة
17 سفينة	100 مدفع + 127 قاذفة حجارة	1737	13	196 مدفعا	1770
18	177 مدفع + 251 قاذفة	1741	9	38 مدفع	1775
12	272 مدفع + 50 قاذفة	1750	16	335 مدفع	1800
47	58 مدفعا	1762	14	320 مدفع	1820

توضح هذه الأرقام التقهقر الذي عرفه الأسطول الجزائري خلال القرن الثامن عشر، كما توضح تخلي السفن عن قاذفات الحجارة نعد لها أي فائدة أمام تطور البحرية الأوروبية، كما توضح الضعف من حيث المدفعية.[1]

إذن فالأسطول الجزائري يختلف من الأساطيل الأوروبية من حيث أنه لا يخضع لتنظيم عسكري يحكم ويعتمد على التجربة وبحاريه لا يعرفون أي تدريب منظم وتعود ملكية مراكبه لجهات متعددة الشيء الذي يفقده الوحدة والانسجام[2].

ب / أنواع السفن:

تعتبر السفن أهم وسيلة لتحقيق المكاسب والنفوذ على سطح البحر، والسفن التي انتشرت في الفترة الحديثة بالجزائر عرفت عدة أنواع انعكاسا لدار الصناعة وكذلك حجم الغنائم البحرية، ولقد استعملت البحرية الجزائرية أصنافا عديدة من السفن حسب ما تقتضيه الظروف وتسمح به الإمكانيات المادية، ومن أبرز هذه السفن نذكر:

[1] صالح عباد,المرجع السابق,ص325.
[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص 325.

- الشباك chébec: اعتبرت مركب البحر الأبيض المتوسط المخصص للحرب، كان هذا المركب طويلا خفيفا يحمل صاريين أو ثلاثة، يتحرك بالأشرعة أو المجاديف وهي ميزته الكبرى.
- الغيلوطة geliote: شكلها عبارة عن قطعة محورية متميزة صنفت في مصاف السفن الضخمة استعملت في الحروب المباشرة يبلغ مقامها بين 120 و 140 طولا و 14 إلى 20 قدما عرضا[1].
- قادرغة: سفن طويلة وعنيفة قليلة الارتفاع عن سطح الماء تتراوح أبعادها بين 165 ـ 170 قدم طولا و 21 ـ 22 قدم عرضا وعمقها أكثر من 17 قدما، أما ارتفاع كنارها عن سطح الماء فيتراوح من 5 ـ 7 أقدام، شديدة الخطورة أثناء الهجوم[2].
- غواليت goèlette: سفينة حربية كبيرة وتجارية مرتفعة قليلا عن الماء لها صاريتين منحنيتين إلى المؤخرة واحد مائل في المقدمة تحمل من 6 إلى 8 فوهة كبيرة للمدافع.
- بريك Brig: بارجة لها صاريتين تحمل شراعات مربعة يستحمل هذا النوع من السفن في التجارة كما يستعمل في أسطول حربي[3].
- الشطية saetie : سفينة صغيرة تستعمل لنقل الحمولة والأسلحة وتموين السفن الكبيرة.
- اللجور: زورق حربي حامل للمدافع.
- البولاكر Polacre: سفينة من ثلاث صواري وشراع واحد مربع[4].
- فلوكة Felouque: سفينة صغيرة لها أشرعة ومجاديف تصنف في عائلة السفن الشراعية الحربية.
- البركانيBrigantin : سميت بالغرجاطة لها صاريتين سفينة صغيرة ذات مجاديف[1].

[1] خيرة غلاف، الأسطول البحري الجزائري خلال القرن 18م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة المسيلة، 2019، ص25.

[2] آلتر، المرجع السابق، ص 288.

[3] محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 17.

[4] خيرة غلاف، المرجع نفسه، ص 27.

ج/ دار صناعة السفن بالجزائر:

بحلول القرن السادس عشر أصبحت مدينة الجزائر تتوفر على أحواض لصناعة السفن فقد اهتمت طائفة الرياس بصناعة السفن منذ عهد خير الدين بربروسا[2].

عملت على تطوير الأسطول الجزائري بلغت مساحتها 03 هكتارات ما يشكل متسعا حوالي 25 سفينة تتراوح حمولتها ما بين 150 و 300 طن [3] ، كما تلقت الترسانة الدعم من لوازم البناء والذخائر من قبل الدولة العثمانية والدول الأوروبية إضافة إلى مختلف المناطق الجزائرية التي كانت تنقل من نواحي شرشال [4]وغابات القل[5].

وكان بهذا المصنع يتم العمل الإنشائي للسفن التجارية والحربية وتتم تجارة المراكب التي تجلب كغنيمة قبل أن تعود إلى البحر بخصوصيات فنية وتقنية جزائرية [6]، إضافة إلى وجود ثلاث مواقع أخرى ملحقة بالركن الشمالي من المرسى وشاطئ الرميلة بباب الوادي وبعض الخلجان بالقرب من باب عزون، حيث كانت تصنع المراكب الصغيرة[7].

الغنائم البحرية:

قامت الدولة الجزائرية في عالم البحر الأبيض المتوسط على نظام حربي فعال بواسطة حكومة عسكرية ذات قوة بحرية أعطت للجزائر استقرار وتوازن تجاري خلال الفترة السابقة للأيام الأتراك، حيث هناك مصادر مالية كانت تأتي للجزائر عوضا عن

---

[1] عطلي، المرجع نفسه، ص79.

[2] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 97.

[3] خيرة غلاف، المرجع السابق، ص 19.

[4] شرشال: من أجمل المدن الساحلية أسماها الفينيقيون أيول اكتسبت شهرة عالمية أيام سلطة الرومان، تشرف عليها جبال بني مناصر الخضراء، احتلها خير الدين عام 1520م، انكسر بها شارلوكان سنة 1531، للمزيد، أنظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 273.

[5] أمين محرز، المرجع السابق، ص181.

[6] خيرة غلاف، المرجع نفسه، ص19.

[7] حكيمة حدون، خديجة بن رنجة، المرجع السابق، ص17.

الجهاد البحري متمثلة في الهدايا والجزيات وكذلك الإتاوات التي تدفعها بلدان أوربا مقابل السلم وفي نفس الوقت استمرارا لتجارة شرعية تقوم بها الموانئ الجزائرية لمخارج المنتوجات الداخلية للبلاد[1].

كانت الغنائم تجلب إلى مدينة الجزائر تباع للسكان وتوزع قيمتها على ذوي الحقوق وتأخذ الخزينة العامة الخمس كنصيب لها، [2] إذن فالنهب والسلب للغنائم كان بازدياد مستمر منذ منتصف القرن السابع عشر وكانت خسائر التجار المسيحيين كبيرة وباستيلاء القراصنة على السفينة يأخذون ما فيها من أموال وبضائع ثم يحرقونها أو يفرقونها أحيانا لأن إحضارها يسبب نوعا من المصاعب[3].

فالغنائم البحرية عرفت مع نهاية العهد العثماني نموا ملحوظا مع محاولة تطوير البحرية وزيادة نشاطها الحربي خاصة في فترة اشتغال أوروبا بحروب الثورة الفرنسية وفتوحات نابليون، وقد ارتبط تجدد نشاط البحرية الجزائرية بجهود بحارة مشهورين في مقدمتهم الرايس حميدو 1790 - 1815م.

وهذا الجدول يوضح وتيرة الغنائم البحرية[4]:

السنوات	السفن + الأسرى	الدول المستهدفة	مجمل الغنائم
1628 - 1634 م	80 سفينة + 1331 أسير	فرنسا	4752000 جنيه
1637 - 1799م	376 سفينة + 118 أسير	البرتغال البندقية	75 مليون فرنك

[1] وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس، تق، تع: عبد القادر زبانيه، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 135.

[2] حمدان خوجه، المصدر السابق، ص70.

[3] آلتر، المرجع السابق، ص 530.

[4] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 140.

1800 - 1802 م	20 غنيمة + سفينة مجهزة ب 44 مدفع	نابوليانية البرتغال	575152 فرنك
1805 - 1815 م	30 سفينة + 1800 أسير	/	8 ملايين فرنك
1825م	8 سفن	هولندا اسبانيا انجلترا	770415.74 فرنك
1817 - 1827 م	/	/	700000 فرنك

جدول يوضح تطور مختلف الغنائم البحرية الجزائرية[1]

كان الرياس يحصلون من جهتهم على السفن المختلفة في عرض البحر ففي الفترة ما بين 1613 و 1621 وقعت أكثر من 800 سفينة بين أيديهم وفي الفترة ما بين 1630 و 1634 استولوا على 80 سفينة فرنسية كان على متنها 1331 شخصا أصبحوا من الأسرى أو العبيد في سنة 1681 استولى هؤلاء الرياس على حوالي 30 سفينة فرنسية على متنها 300 رجل، وفي الفترة ما بين 1765 و 1799 استولوا على 376 سفينة وفي الفترة ما بين 1817 و 1827 استولوا على 26 سفينة[2].

فمن خلال مختلف الإحصائيات للغنائم البحرية نلاحظ أن الغزو البحري الجزائري حافظ على حيويته ونشاطه طيلة فترات القرن 17 وبالتالي حافظت الجزائر على مداخيلها من الغزو البحري ما زاد من قوة أسطولها، لكن المتتبع لمراحل الغزو البحري يجد أنه بالرغم من سنوات العجاف الأخيرة، إلا أنه المدخول فاق حيث في غضون 20 يوما في

[1] ناصر الدين سعيدوني,نفسه,140.
[2] صالح عباد، المرجع السابق، ص323.

عام 1656 أسر الجزائريون 16 مركبا في المياه البرتغالية على متنها حوالي 500 رجل وامرأة، في حين أنه في سنة 1727 لم يغنم البحارة الجزائريون سوى 25 مركبا و249 أسيرا في عام كامل تقلصت عائدات الغزو البحري وشكلت معاهدات السلام[1].

فالمصادر التي تطرقت إلى عائدات القرصنة قليلة إذ كانت السمة الغالية هي المبالغة ومما زاد من الصعوبة هو أن جل المعلومات المتوفرة حول حجم الغنائم جزئية ولا تعطي سوى فترات زمنية وجيزة من القرن السابع عشر.

الأسرى الأوروبيون:

نظرا لكثرة الغازات والهجومات والحروب بين الجزائر وقراصنة أوروبا خلال ما يزيد عن ثلاثة قرون فقد قتل الآلاف من الناس ووقع الآلاف في الأسر من طرفين وتمكن البحارة الجزائريون من أسر الآلاف من الرجال والنساء والأطفال وما جاء من المراكب البحرية المختلفة الأنواع [2] ، حيث شكل أولئك الأسرى موردا هاما في إثراء الخزينة العامة طيلة القرن الثامن عشر فكان أغلب هؤلاء يطلق سراحهم مقابل فدية معينة وبعضهم يعتنق الإسلام ومنهم من اندمج من السكان وأصبح عنصرا بارزا في المجتمع [3] ، شكل الأسرى إحدى فئات المجتمع الجزائري فالسجون امتلأت وصل عددهم حوالي 25 ألف أسير في القرن السابع عشر عندما شهدت البحرية الجزائرية عصرها الذهبي، ولهذا

[1] محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 100.

[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص198.

[3] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص137.

وقعت معاهدات بين الجزائر والدول الأوروبية حملت إشارات للأسرى إما بالعمل على تحريرهم أو تحسين ظروفهم[1].

في عام 1723 أسروا 10 سفن أمريكية، وفي الفترة الممتدة ما بين 1765 - 1799م حجز البحارة الجزائريون عددا كبيرا من المراكب البحرية خلال 376 هجوما بحريا وفيما بين 1817 - 1827م أسر الجزائريون 26 مركبا بحريا أغلبها لليونانيين[2].

تنوعت المهام التي اشتغل بها أولئك الأسرى فهي تتوزع على الخدمات الاجتماعية والاقتصادية داخل مدينة الجزائر من بينهم نذكر:

- العالم اليوناني بيارجيل (Pierregilles): أسر سنة 1546 أثناء قدومه من فرنسا إلى اليونان في بعثة علمية.

- الكاتب الإسباني الشهير ميكال سرفانتيس (Miquel cervantes): مؤلف المسرحيات بقي في الأسر من سنة 1775 إلى 1780م.

- العالم الفرنسي جان فيان (Jean vaillant) أسر عام 1674م عندما كان في رحلة علمية لدراسة النقود[3].

ويفيدنا دفتر التشريفات بأعداد الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر ما بين 1736 - 1816م[4]:

السنوات	عدد الأسرى
1736	1.063
1738	705

[1] شتيوي وسيلة، بن عمارة العطرة، الأسرى الأوروبيون وتأثيرهم في العلاقات الجزائرية الأوروبية خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2018، ص 13.

[2] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص 201.

[3] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 138.

[4] حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص71.

1740	412
1746	783
1750	10063
1756	694
1760	1.941
1770	1.323
1780	1.494
1790	715
1798	1.168
1800	860
1806	1.228
1810	1.357
1812	1.475
1814	1.525
1815	1.450
1816	1.016

1

كما يوضح الجدول التالي تقديرات بعض الأسرى المسيحيين في مدينة الجزائر من خلال المصادر الأوروبية[2]:

المصدر	السنة	عدد الأسرى
T .SShaw	1738	2.000
Venture de paradis	1786 - 1787	2.000
Raynal	1788	800
Degrammont	1816	1.642
P .Rozet	1830	122

[1] حنيفي هلايلي,اوراق في تاريخ الجزائر,المرجع السابق,71.

[2] حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص73.

من خلال الجداول السابقة الذكر نلاحظ أن عدد الأسرى حسب المصادر العربية كان مرتفعا في السنوات الأولى ثم بدأ بالانخفاض إلى غاية سنة 1816م، أما المصادر الأجنبية فقد بالغت في إحصائها لنسبة الأسرى نظرا للظروف التي مرت بها البحرية الجزائرية في السنوات الأخيرة مما يؤكد على تراجع عدد الأسرى لعدة أسباب أهمها: الحملة الانجليزية على الجزائر بحيث لا يوجد سوى ألف أسير، وبالتالي أضعفت الحملة البحرية الجزائرية ثم تلاها مؤتمر اكس لاشبيل الذي فرض قيودا تمنع العبودية المسيحية في العالم الإسلامي.

الإتاوات والهدايا:

فرضت الدولة الجزائرية على الدول الأوروبية المتعاملة معها تجاريا إتاوات مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، [1] كما تمتعت الدول الأوروبية بامتيازات وتسهيلات في المتوسط عن طريق تقديم تخفيضات على الرسوم الجمركية، وهذا ما ينفي صفة اللصوصية على حرية التجارة العالمية عن البحرية الجزائرية[2].

ومن الملاحظ أن الإتاوات اختلفت حسب العلاقات التي تربط الجزائر بدول أوروبا، سنقدم قيمة الإتاوات مقدرة بالقروش الإسبانية كما كانت تدفعه بعض الدول من مبالغ مالية أو ما تزود به الجزائر من العتاد عند إبرام معاهدة الصلح.[3] وهنا الإشارة إلى بعض النماذج:

ـ إسبانيا: كانت تساهم بما قيمته 48000 فرنك سنة 1807، وبعد توقيعها على هدنة 1785 وانسحابها من وهران ألزمت بدفع 18000 فرنك.

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص140.

[2] حكيمة حدون، خديجة بن رنجة، المرجع السابق، ص 29.

[3] خيرة غلاف، المرجع السابق، ص14.

ـ فرنسا: كانت تدفع قبل قبل سنة 1790م ما قيمته 37000 جنيه وبعد سنة 1790م تعهدت بدفع 27000 قرش أي 108000 فرنك، وفي سنة 1816م ألزمت بدفع ما قيمته 200000 فرنك.

ـ انكلترا: تعهدت في سنة 1807م بدفع 267500 فرنك مقابل نيلها بعض الامتيازات.

ـ الولايات المتحدة الأمريكية: دفعت في سنة 1795م ما قيمته 1000000 دولار، هذا إضافة إلى مختلف دول أوروبا[1].

المبحث الثاني: مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية

[1] سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص141.

المبحث الثاني: مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية

المطلب 01: القرصنة والجهاد البحري

المطلب 02: أهم الحملات

المطلب 03: ضعف البحرية

01-النشاط البحري بين القرصنة والجهاد:

برزت خلال القرن 15م حروب كبيرة أطلق عليها لفظ القرصنة أين اختلف المؤرخون في تعريفهم لها، ويعتبر البحر المتوسط مهدا لها، فهي قديمة وليست مثلها أشار المؤرخون بأنها تعود للقرن 16 م، وإنها أقدم بكثير، غير أن ازدهارها كان خلال القرن 16م، [1]ويشير آخرون إلى أنها من أقدم المهن التي ازدهرت في البحر المتوسط والتي ربما بدأت في عهد الفينيقيين، ولقد ظهر هذا المصطلح منذ حوالي 146 بين المسلمين والنصارى الذي هو عبارة عمل بحري سماه الأوروبيون بالقرصنة ودام حوالي 4 قرون إلى غاية 1856م أي تاريخ انعقاد مؤتمر باريس الذي منع وحرم فيه القرصنة[2].

ومن تعريفاتها ما يلي:

" القرصنة هي اعتداء مسلح تقوم به سفينة في أعالي البحار دون أن يكون مصرحا بذلك من جانب دولة من الدول، ويكون الغرض منه الحصول على مكسب بسرقة السفن أو البضائع أو الأشخاص ".

" هي كل عمل غير شرعي من أعمال العدوان يرتكبه أشخاص على ظهر السفينة خاصة في أعالي البحار العامة، أو يحاولون ارتكابه ضد أشخاص أو ممتلكات على ظهر سفينة أخرى أو ضد سفينة أخرى نفسها مع قصد النهب والسلب "[3].

القرصنة هي حرب بين المسيحيين والمسلمين، فالقرصان هو الذي يمارس القرصنة لحساب الحكومة وبدعم منها، وقد كان يحتل مكانة قانونية على الصعيد الوطني والدولي، بالمقابل لص البحر يقوم بنفس الأعمال والنشاطات.

---

[1] اسحاق زيتوني، البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519 - 1800م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، غرداية، 2011- 2012م، ص 16.

[2] هشام بوشاهد، المرجع السابق، ص19.

[3] حسام الدين بوعيسي، المرجع السابق، ص 20.

" الاستيلاء على السفن والبضائع والرجال ,لكن دون تشريع أو قواعد فلصوص البحر لا يترددون في مهاجمة سفن البلدان الصديقة أو حتى سفن بلدانهم وبذلك فهم خارجون عن القانون، فالقرصنة إذا ليست عملا خاصا بل أي عمل الدولة "[1].

كما يعرفهم ابن خلدون على أنهم غزاة البحر ومن أشهر من برعوا في هذا العمل البحري الأتراك وحتى الجزائريين خاصة أهالي الساحل الشمالي على الضفة المواجهة للبحر الأبيض المتوسط كوهران وبجاية[2].

والقرصنة هي كلمة إيطالية " Corsa " تعني السباق، ومنها اشتقت كلمة قرصان " Corson " وهو الذي يقوم بفعل التسابق، وقد استعملت لأول مرة في القرن الرابع عشر ميلادي، بمعنى التسابق البحري للهجوم والاعتداء على السفن وسواحل الدول الأجنبية[3] .

كلمة القرصنة في اللغة مشتقة من كلمة " قرص " القرصنة " بالظم نعت من القرص بالفتح وجاء في لسان العرب وقطع به قطعا إذا قطع به الطريق وفي المعجم الوسيط القرصان لص البحر والقرصنة السطو على سفن البحر، والقرصنة تعني أعمال احتجاز السفن عنوة والسطو عليها في عرض البحر في غير أوقات الحرب ولأسباب قد تكون سياسية أو غير ذلك[4].

وتقول كورين شوفاليه: " كانت القرصنة بالنسبة للمسلمين قبل كل شيء شكلا من أشكال الجهاد البحري ولو أنها تتخذ أحيانا طابع الحروب الصليبية من جانب المسيحيين[5].

ولقد عرفها يلماز أورتونا بقوله: " لقد أصبح لصنف القرصان في القوة البحرية أهمية كبيرة في التفوق البحري العثماني في القرن 16م، وتمركزت القرصنة في 1513م في

[1] إسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص18.

[2] هشام بوشاهد، المرجع السابق، ص18.

[3] محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص38.

[4] حسام الدين بوعيسى، المرجع السابق، ص19.

[5] إسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص28.

قاعدة المغرب وبشكل نهائي في قاعدة الجزائر وليست لها أية علاقة مع أشقياء البحر الخارجين على الدولة والذين يطلق عليهم اسم " قرصان " المأخوذة من الكلمة الفرنسية " Corsaire " وبالعثمانية " دنيز حراميسي " أي لص البحر، وخمس ما يغتنمه القراصنة يعود إلى الخزينة للدولة، والمؤسس الحقيقي لصنف القراصنة هو قرقودخان أخ السلطان سليم الأول[1].

والقرصنة في اللغة هي عمل القرصان في السطو والنهب، وقد أطلق المؤرخون الغربيون مصطلح القرصنة على العمليات البحرية الحربية الإسلامية الموجهة بالدرجة الأولى ضد السفن الدول الأوروبية وغير الأوروبية التي تناصب المسلمين في المغرب العداء وتغير على سواحلهم[2].

إن مهنة القرصنة قديمة إن لم تكن نشاطها شرفا دائما، فقد امتهنتها عبر العصور شعوب مختلفة مثل الفيكنغ والحرب من حضر صوت ..... الخ، لكن المحور الحقيقي لنشاط القرصنة كان البحر الأبيض المتوسط.

وقد كان القرصان الحقيقي رجل مهنة، وفخورا بمهارته الملاحية وبالبراعات التي يستعملها لجلب الغنائم، فإذا جلب للعدالة في المحاكم البحرية فإنه يعرف بنفسه كقرصان أو قرصان وليس أبدا كهارب أو مجرم لأن شغله كما متعارفا عليه بوضوح كدباغ[3].

إن القرصنة انتفاضة ضد لصوص البحر، وتعتبر القرصنة ولصوصية البحر شكلا ظاهرا من بداية القرن الرابع عشر إلى بداية القرن التاسع عشر، وكانا من أكبر النشاطات البحرية في الحوض المتوسط تغنيهما التجارة البحرية النامية في تلك الفترة، كما شملت القرصنة ولصوصية البحر كلا من المسيحيين والمسلمين على حد سواء[4].

---

[1] يلماز أزتونا، المرجع السابق، ص442.

[2] تركية بولقرون، موقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسي للجزائر " 1827 - 1848 "، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014 - 2015م، ص25.

[3] وليام سينسر، المرجع السابق، ص ص 72 - 73.

[4] إسحاق آيتوني، المرجع السابق، ص17.

للقرصنة قوانين تحكمها ونظامها الدولي الذي يأطرها، فالقرصنة ظاهرة قديمة في المتوسط لكنها تختلف عنها في الأطلسي، في أن الأولى لها قواعدها وأعرافها وتقاليدها [1] ، فلقد كانت الحكومات فيما سلف تسلم أوراقا رسمية للقراصنة فتكسبهم بذلك صبغة مشروعة تميزهم عن لصوص البحر، ومعلوم أن لصوص البحر يباشرون مهنتهم باستمرار، بينما القراصنة لا يعملون إلا مدة الحروب فحسب [2]، وتسمى هذه الأوراق الرسمية التي تمنح للقراصنة باسم " رسالة العلامة " أين تسمح لهم هذه الأخيرة بمحاربة السفن التجارية للدول المعادية لهم، وعملية القرصنة كانت تعتبر بمثابة انتفاضة للأفعال الغير عادلة التي يمارسها لصوص البحر للتقليل والحد من العنف فيه [3]، ولقد أدى استقرار الأتراك في مدينة الجزائر لتحويل نشاطات القرصنة في البحر الأبيض المتوسط إلى مؤسسة، وقد تحكمت طائفة الرياس ابتداء من تواجدها في الجزائر العاصمة بطريقة شديدة الانتظام من حيث التوظيف والتنظيم والتمويل والعمليات الحربية[4].

ولم تشمل حرب القرصنة الصراع البحري بين المسلمين المسيحيين فحسب ومنه لم تكن القرصنة حكرا على الجزائريين فحسب بل كانت كل الأمم تتعاط القرصنة إلا أن البحرية الجزائرية أتقنت وأبدعت في القرصنة ، وفي هذا يقول المؤرخ الأمريكي وليم سينسر: " ..... جعلت القرصنة من الجزائر قوة قاهرة في المنطقة الغربية للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فلم تكن مدينة الجزائر مرعية للأمم والشعوب المسيحية أكثر من رئيسها الأسمى، الباب العالي فقط، ولكنها استمرت توحي بحو من الإجبار والترهبة خلال فترة طويلة لتدهور القوة العثمانية[5].

كان المسيحيون أسبق لغزو بلاد المسلمين والاستيلاء على أساطيلهم في عرض البحر المتوسط والاعتداء على ضفافه منذ سقوط دولة الموحدين خاصة، أما المسلمين

---

[1] نفسه، ص16.

[2] هشام بوشاهد، المرجع السابق، ص22.

[3] نفسه، ص18.

[4] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص74.

[5] نفسه، ص9.

العرب لما دخلوا هذا المجال لم تكن لهم حاجة القرصنة، فلقد رفضوا سيطرتهم على حوض البحر المتوسط فهدفهم تأمين الفتوحات الإسلامية بمفهوم الجهادية في سبيل الله، ومن هنا يتضح أن ما كان يقوم به المسلمين ليس لما أطلقه عليهم المسيحيين أو الصليبيين بمفهوم القرصنة فما كان عروج قرصان ولا خير الدين، فلو كانت أعمالهم هذه هي القرصنة فكيف إذا نسمي الأعمال التي يقوم بها المسيحيين في أثناء ضربهم للتجارة الإسلامية وكذا الاستيلاء عليها في حوض البحر المتوسط، فالكتاب الأروبيون أطلقوا على التجارة الجزائرية بمصطلح " Piratas " أي لصوص البحر ذلك للتحقير والتقليل من قيمتهم "[1].

لقد كانت الجزائر من أهم الدول التي قامت ونشأت على القرصنة، كما صنفت واعتبرت من أقوى الدول التي تعالمت هذا النشاط، لقد تطلب وجود الجزائر كدولة قرصنة، تسيرا قويا في سبيل البقاء وذلك لأنها ولدت وسط الصراع المملوء بالمغامرات الخارجية المستوحاة من عقيدتهم[2].

وكانت البحرية الجزائرية غداة تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة سنة 1519م موسومة بطابع جهادي صرف لأن معظم أراضي شمال إفريقيا كانت تحت السيطرة الإسبانية، كما حاولت البحرية الجزائرية بقيادة قراصنتها المحنكين الاستيلاء على عدد من الجزر المتوسطية والتي كانت محل صراع بين المسلمين والمسيحيين نظرا لما لها من أهمية استراتيجية في السيطرة على الملاحة البحرية في البحر المتوسط[3].

لقد برز القراصنة العثمانيون بقدراتهم العربية ومهاراتهم البحرية كقوة بديلة قادرة على التصدي والمواجهة، وبسرعة فائقة اتخذ النشاط القرصني أبعادا جهادية طبعت صورته الإيجابية المخيال الجماعي، فبرز القرصان الملقب بالغازي كبطل يتسارع الأهالي بأعيانهم لتبجيله وربعا لتقديسه.

---

[1] هشام بوشاهد، المرجع السابق، ص23.

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 73.

[3] إسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص 23.

ومن أبرز القراصنة أورياس البحر الأخوان عروج وخير الدين بربروس، تحول عروج من الحوض الشرقي إلى الحوض الغربي للمتوسط، فإنه استجاب أيضا بدون تردد لنداءات مورسكي الأندلس الغازية من محاكم التفتيش ومن القمع المسيحي[1].

تعتبر غزوات العثمانيون نوعا من أنواع الجهاد، وباتحاد رياس ابربر مع الرياس الأتراك غدت البحرية العثمانية قوة ضاربة، ففي بادئ الأمر وجه الرياس اهتمامهم بالدرجة الأولى لإنقاذ المسلمين من ظلم الإسبان والقضاء على التجارة الإسبانية في البحر الأبيض وضرب سواحلها وإلحاق الأضرار بها[2].

لقد قام خير الدين بربروس ببناء أسطول بحري في الجزائر بعد أن طرد الإسبان منها وبنى الجسر الممتد بين المدينة وبرج الفنار في وقت عرف فيه البحر الأبيض المتوسط عمليات واسعة للقرصنة بدءا من القرن السادس عشر، وأصبحت عاملا مهما لبعض الدول في مداخيلها واستراتيجيتها الاقتصادية وممولا للميزان العام خاصة الدولة العثمانية التي كانت في حرب دائمة مع الغزو الإسباني، حيث كانت إيالة الجزائر العاصمة ذات موقع دولي هام خاصة في الدفاع عن دار الإسلام، وبذلك كانت البحرية الجزائرية موجهة لضرب البحريات الأوروبية الصليبية ولإنقاذ المسلمين الأندلسيين وتحرير الكثير من القواعد الإسلامية في المغرب عامة[3].

ولقد تميز العهد العثماني في الجزائر باستمرارية فكرة الجهاد ضد الكفار بالمعنى التقليدي للكلمة وهذا المعنى للجهاد جاء به العثمانيون للجزائر أيضا قد انضاف إليه جهاد الأندلسيين وأهل شمال إفريقيا ضد دار الحرب، وهؤلاء كانوا يستعملون الجهاد في معناه التقليدي الذي ورثوه عن أجدادهم أمثال عقبة بن نافع ويوسف بن ناشقين .... الخ، وبذلك

[1] دلندة الأرقش، عبد الحميد الارقش وجمال بن طاهر، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص38.

[2] عزيز سامح آلتر، ص ص 148 - 149.

[3] حسام الدين بوعيسى، المرجع السابق، ص ص 44 - 45.

فإن العثمانيون وأهل الأندلس وشمال إفريقيا آمنوا بالإسلام بعقيدة راسخة واتخذوا من الجهاد طريقا للدفاع عن هذه العقيدة[1].

النشاط الذي كان يقوم به الرياس الجزائريين والعثمانيين يعتبر في التاريخ العربي جهاد من أجل حماية أرض الإسلام التي كانت تعاني من محاولات احتلال الدول الغربية، وبالتالي نشاط البحارة الجزائريون في ظل الحكم العثماني لم تكن قرصنة في حد ذاتها وإنما نشاط ذو طابع قانوني من خلال حماية مياهها البحرية وحماية السكان والبلاد، في حين أن نشاط القراصنة الأوروبيون أو باقي القراصنة كان بهدف السلب والنهب والقتل وهو ما يعتبر جريمة خطيرة[2].

ولقد مارس سكان الجزائر القرصنة أو الجهاد البحري، فالأغنياء منهم صنعوا سفنا خاصة بهم وقادوها بأنفسهم والفقراء جمعوا النقود واشتركوا مع التجار في امتلاك السفن البحرية، فالقراصنة كانوا يدخلون الميناء فرحين بسفنهم الاحتياطية والمليئة بالغنائم والأسرى، فلقد ازداد عدد الأسرى بسبب ازدياد أعمال القرصنة، ففي منتصف القرن السابع عشر بلغ عدد الأسرى الموجودين في مدينة الجزائر حول ثلاثين ألف أسير من أمم وأجناس مختلفة[3].

الجهاد الذي مارسه العثمانيون في البحر كان حرب بكل معنى الكلمة، فلقد كان العثمانيون خلاله يجوبون البحر الأبيض والمحيط الأطلسي وبحر الشمال، وكان هذا الجهاد موجها ضد كل الدول المسيحية التي لا تعقد معاهدة صداقة ووئام مع الجزائر ويقتضي ذلك مطاردة سفن العدو في البحر والاستيلاء على ما فيها من غنائم وأخذ ملاحيها وركابها لأسرها إلى الجزائر انتظارا للفدية أو البيع في سوق الرقيق[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500 - 1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 197.

[2] حسام الدين بوعيسى، المرجع السابق، ص 45.

[3] عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص 280 - 283.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 198.

لقد كان قراصنة الجزائر ينشطون بدافع ديني يدفعهم للهجوم على المسيحيين ولذلك فإن القرصنة التي مارستها البحرية الجزائرية خلال القرن السادس عشر عبارة عن جهاد بحري وامتداد للحروب الصليبية، وذلك نظرا لأسبابها الدينية، ودوافعها العاطفية، وبالتالي لم تكن الفوائد المادية التي جنتها الجزائر من جراء الجهاد البحري هدفا رئيسيا للقرصنة، ومنه يمكن القول أنها حرب مشروعة باعتبار أنها لم تكن من طرف واحد في دفاع ومعاملة بالمثل[1].

ولم تبق في البحر الأبيض المتوسط تقريبا جزيرة ميناء قطر ومدينة لم يهاجمها الأتراك، وهناك الآلاف من القارات البحرية والحروب البحرية للقراصنة وكلها انتهت بانتصار القراصنة العثمانيين، واستمرت القرصنة في القرن الثامن عشر رغم أنها فقدت فعاليتها السابقة، وكان القواد البحريون الذين يحصلون على شهرة في الجزائر يقدمون إلى استانبول ويصبحون أميرالان وحتى قادة للقوات البحرية[2].

وكانت القرصنة حرة حتى مؤتمر فيينا 1815، منعت في هذا المؤتمر وحرمة الجزائر من أهم مورد لها، ولقد كتب محمود الثاني إلى عمر باشا الذي عين خلال تلك الفترة بكلريك (والي إيالة) على الجزائر في خطة الهمايوني ما يلي: " ..... ولية على إيالة الجزائر شرط تجنبك الأحوال التي تتعارض مع إرادتي، وأسلم بأنه عفى عما سبق من الذنوب الكبيرة والصغيرة لمنتسبي العامية من رعيتي وسوف يلقون من قبلي حسن القبول والسماح السلطاني السامي كما في السابق ..... "[3].

ومنه يمكن القول أن هجوم السفن الإسلامية ضد السفن المسيحية يعتبر جهادا بحريا إسلاميا بامتداد الجهاد الإسلامي من الأرض إلى البحر، وبهذا فإننا نطلق على العمليات البحرية التي قام بها المسلمون في مياه البحر المتوسط ضد الدول الأوروبية

[1] إسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص27.

[2] يلماز أزتونا، المرجع السابق، ص 448.

[3] نفسه، ص451.

وفرسان القديس يوحنا من القرن الخامس عشر إلى غاية القرن التاسع عشر جهادا بحريا[1].

أما الدول الأوروبية كان هدفها الأساسي هو الاستعمار وكانت القرصنة حرفتها والقراصنة كانوا وسيلتها وبالتالي الاستيلاء على خيرات الجزائر بشكل خاص وشمال إفريقيا بشكل عام كان هدفهم[2].

الحملات الأوروبية:

قامت الدول الأوروبية منذ القرن 16م بحملات بحرية ضد الجزائر، حيث رأت هذه الدول أنها تشكل خطرا دائما يهدد أمنها وحرية تجارتها الخارجية فقامت الحروب بين الطرفين، فلقد أصبحت الجزائر في نظر الأوروبيين مركز رعب وقد دعوها بعش القرصنة، لذلك شنت الدول الأوروبية العديد من الحملات على الجزائر بهدف القضاء على القرصنة ظاهريا وأما الهدف الحقيقي هو القضاء على البحرية الجزائرية وبالتالي غزو الجزائر[3].

ومن بين أهم هذه الحملات:

- **حملة الدانمارك:**

[1] تركية بولقرون، المرجع السابق، ص25.

[2] حسام الدين بوعيسى، المرجع السابق، ص 46.

[3] بوشاهد هشام، فراقة عبد الحميد، المرجع السابق، ص 78.

في جويلية 1770م رست بالجزائر أربع بواخر حربية دنماركية جاءت تطلب الغنائم التي استحوذ عليها الرياس الجزائريون في البواخر التي كانت تحمل العلم الدانماركي، وأعلنت الحصار على ميناء الجزائر طالما لم تعد تلك الغنائم إلى أصحابها، وشرعت المدفعية الدانماركية توجه قنابلها إلى العاصمة من اليوم الخامس إلى اليوم العاشر من جويلية دون انقطاع، ودخلت البواخر الجزائرية في معركة معها فوقع ضرب شديد انتهى بهزيمة الدانماركيين وانسحابهم من الجزائر[1].

- **حملة الأمريكية:**

بعد انتهاء الدول الأوروبية من حروبها الداخلية وجهت تفكيرها إلى مسألة القرصنة واتفقت في مؤتمر فيينا على إلغاء القرصنة، وأصبح الأسطول الأمريكي منذ سنة 1812م يتجول في البحار، وفي السابع من حزيران سنة 1815م التقى الأسطول الأمريكي بالأسطول الجزائري في راسن جالطة، وكان من بين سفن الأسطول الجزائري سفينة الريس حامدو وهي تحمل ستة وأربعين مدفعا، فحدث اشتباك بينهما وانتهى باستشهاد الريس حامدوا، وسقوط سفينة بيد الأمريكيين، أما البقية فقد تمكنت من النجاة، وفي التاسع عشر من حريزان جماجم الأمريكيون زورقا جزائريا واستولوا عليه وكان الزورق مجهزا ب 22 مدفعا، ثم في السابع من تموز وقعت الجزائر مع الأمريكيين الصلح[2].

- **الحملة الانكليزية ـ الهولندية ـ 1816م:**

اجتمعت الدول الأوروبية في مؤتمر فيينا، وقرروا وضع حد نهائي لتصرفات القراصنة في حوض البحر الأبيض المتوسط ولاسترقاق الأوروبيين، وأخذت بريطانيا على عاتقها معاقبة الجزائر على ممارستها القرصنة [3]، فأرسلت انكلترا أسطولها بقيادة اللورد اكسماوث الموجود في البحر الأبيض المتوسط إلى الجزائر للمطالبة بالأسرى الأوروبيين وتحرير كل أسير مسيحي مقابل مبلغ من المال وهذا الطلب أدى إلى رفض الجزائريين للمطالب الانكليزية.

---

[1] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 231.

[2] عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص 604.

[3] مبارك بن معهد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 262.

وكان يتألف الأسطول الانكليزي من سفينة بثلاثة عنابر وخمس قليونات وأربع فرقطات وسبع زوارق وانضمت إليه وحدات الأسطول الهولندي الذي كان متواجد في مضيق سبتة، فأصبح عدد قطع الأسطول ثلاثا وثلاثين قطعة بحرية، وعندما عجز الانكليز والجزائريين عن الوصول إلى اتفاق بينهما، قامت السفن الانكليزية والهولندية فجأة بإطلاق نيران مدفعيتها على الجزائر، وكان تأثير سفن الأسطول التي اقتربت من الميناء كثيرا، حيث تمكنوا من إغراق 42 مدفعا في الميناء ولم يستعمل منها سوى 33 مدفعا بسبب ضيق الوقت والقصف المفاجئ من قبل السفن الانكليزية الهولندية، فالجزائريون لم يتوقعوا أن يكون الهجوم كثيفا ومفاجئا لهذه الدرجة[1].

كانت معركة عنيفة لعب فيها عنصر المفاجأة لفائدة الانكليز[2] ، واستمر القتال حتى منتصف الليل، ونتيجة لهذا القتال احترق للجزائريين فرقاطتين وسقطتا قرب الساحل، واندلعت النار في بعض سفن ساحبات المدفعية وتعرض بعض المنازل للنيران بسبب طلقات المدفعية التي سقطت عليها، ولقد خسر الجزائريون قرابة خمسمائة جندي وتهديم بعض المواقع، وأما عدد القتلى من الأهالي فقد قدر بحوالي سبعين شخصا من الذين جاؤوا إلى الفرجة، في حين قدرت خسائر الأعداء من القتلى والجرحى حوالي ثمانمائة وثلاثة وثمانين جنديا، كما دمرت لهم سفينة تفجير وأمام هذه الخسائر القادمة التي لحقت بالجزائريين لم يبقى أمامهم سوى التفاهم والاتفاق مع الأعداء حيث تم الصلح في 22 آب سنة 1816م بين الجزائر وانكلترا، ومن بين بنود الصلح وضع حد لاسترقاق المسيحيين وإطلاق سراح كل الأسرى المسيحيين[3].

ويرجع انتصار السفن الانكليزية الهولندية إلى استخدام الحيلة، فقد استعملوا العلم الأبيض المرفوع على سفينة المفاوضات، وبدأوا يقتربون من المدينة، وبهذه الطريقة تمكنوا من تدمير ساحبات المدافع الراسية في الميناء، فالعلم الأبيض خدع الجنود والأهالي الجزائريين ولم يكونوا مستعدين للقصف والقتال، وبذلك تمكن الانكليز بواسطة

[1] عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص ص 606 - 608.

[2] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 263.

[3] عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص609.

خديجة تتنافى مع التقاليد العسكرية المعمول بها في ذلك الحين من تحطيم جزء كبير من الأسطول الجزائري[1].

معركة نفارين 1827م:

لقد كان فشل الدولة العثمانية في إخماد الثورة التي اشتغلت في المورة قد أدى إلى تحرك دول أوروبا، واضطرت الدولة العثمانية لطلب العون من محمد علي باشا والي مصر لإخماد الثورة التي كان يملك جيش وأسطولا على الطراز الأروبي فأرسل ابنه ابراهيم باشا على رأس الأسطول وكان هدف الدول الأروبية هو تحقيق استقلال اليونان، وانتهت هذه الثورة بمعركة نفارين[2].

تعد معركة نفارين 1827م من المعارك البحرية المهمة التي حدثت بالبحر المتوسط، حيث حدثت المعركة بين الدولة العثمانية التي كانت تتحكم في البلقان وتسيطر على شرق المتوسط وتتعاون مع إيالات الشمال الافريقي من جهة، وبين الدول الأوروبية " بريطانيا، فرنسا، روسيا والنمسا " من جهة أخرى[3].

لقد كان سبب اندلاع المعركة أن انكلترا عرضت رسميا على الدولة العلية في 5 فبراير 1827م توسط جميع الدول بينها وبين متبوعيها، فرفضت الدولة العثمانية هذا العرض مما أدى إلى اتفاق كل من فرنسا وانكلترا وروسيا بمقتضى وفاق تاريخه 6 يوليو سنة 1827م على إلزام الباب العالي بالقوة بمنح بلاد اليونان استقلالها الإداري بشرط أن يدفع اليونانيون جزية معينة للدولة العثمانية.

---

[1] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص263.

[2] أكمل الدين إحسان أغلو، المرجع السابق، ص 94.

[3] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 310.

ومنحت الدول المتحالفة الباب العالي مهلة شهر لإيقاف الحرب ضد اليونان وبعد مرور الشهر توجهت أساطيل الدول المتحالفة نحو سواحل اليونان، وطلبت من ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا إيقاف الحرب فأجابهم بالرفض ومع ذلك قام بإيقاف الحرب واستعد للقتال واجتمعت أساطيل الدول المتحالفة في ميناء تعاريف لمنع الأسطول العثماني من الخروج ومنع إرسال الإمدادات إلى الأسطول العثماني.

في حين كانت السفن الفرنساوية تحت قيادة الأميرال " ريني " والروسية تحت أمرة الأميرال " صيدة " وكان اللورد كودرنجتون أميرالا للأساطيل الانكليزية وقائدا عاما لمراكب الدول المتحالفة، ولم تلبث السفن مقابلة لبعضها البعض حتى نشبت نيران الحرب بين الفريقين بسبب أن إحدى الحراقات التركية اقتربت في أثناء المناورات الابتدائية من إحدى البوارج الانكليزية فأرسل قبطانها ضابطا في زورق ليستعلم عن سبب اقترابها فأطلق عليه أحد الجنود التركية رصاصة قتلته، وعند ذلك اقتتلت السفينتان وامتد لهيب الحرب إلى باقي السفن حتى انتهت بانتصار الدول المتحدة[1].

وتم خلال هذه المعركة تدمير الأسطول العثماني وقتل 800 من البحارة والجنود [2]، ومنه يمكن القول أن أساطيل الحلفاء حاصرت الأسطول العثماني وضربته بدون سابق إنذار ودمرته تماما، وبذلك طالب الباب العالي الدول المتحالفة بتعويض عما لحق بالأسطول العثماني من دمار وعدم التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية، وجاء الرد سريعا من الدول المتحالفة بقطع العلاقات مع الدولة العثمانية عندئذ أصدر السلطان خطا شريفا بين فيه سوء نوايا الدول الأوروبية تجاه الدولة العثمانية[3].

وعدت معركة نفارين حربا صليبية حديثة قوبلت بالأفراح في أوروبا، أما الدولة العثمانية فلم يكن في وسعها إلا الاحتجاج على الهجوم الذي قاموا به رغم عدم وجود حالة

[1] محمد فريديك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تج: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م - 1401ه، ص ص 426 - 427.

[2] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير سباعي، ج2، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م، ص43.

[3] سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 343 - 344.

حرب، وتوتر الموقف مع قيام سفراء الدول المتحالفة في استنبول بمغادرتها ثم قامت انجلترا بالتحرك لإخلاء المورة من القوات المصرية، كما قامت فرنسا بإنزال جنودها في المورة، أما روسيا أعلنت الحرب على الدولة العثمانية[1].

أما فيما يخص المساهمة الجزائرية في هذه المعركة، فقد اختلفت الآراء حولها، حيث أن الكتابات التاريخية التي تطرقت لهذا الموضوع لم توفر المعلومات الكافية حول مشاركة السفن الجزائرية في معركة نفارين، حيث أكدت معظمها هذه المشاركة دون تفصيل ووصف لها لذلك تباينت كتابات الباحثين حول هذه النقطة بين مؤكد لهذه المشاركة ونافي لها[2].

03-أسباب ضعف البحرية الجزائرية:

لقد أدت الانتصارات المختلفة التي أحرزها الأتراك في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الاعتماد الكلي على القوة البحرية في الدفاع عن الجزائر ضد الاعتداءات ومحاولات الغزو الأجنبية[3].

وخلال النصف الثاني من القرن السابع عشر أخذت القوة البحرية العثمانية في الانحطاط والتدهور، فقل نفوذها في البحر المتوسط وحصرت مهامها في المحافظة على ما لديها من ولايات، وبذلك شهدت البحرية الجزائرية تراجعا بداية القرن الثامن عشر، بعد أن كان لها الدور البارز في حوض البحر المتوسط قرابة الثلاثة قرون، وهذا التراجع انعكس على واقع الإيالة في جميع المجالات، حيث كانت الجزائر تعتمد على النشاط البحري كأحد الموارد الأساسية في تسيير شؤونها، وبفضل اجتماع جملة من العوامل الداخلية والخارجية شهد النشاط البحري تدهورا وانهيارا، ومن أهم هذه العوامل:

[1] أكمل الدين إحسان أغلو، المرجع السابق، ص 95.

[2] حكيمة حدون، خديجة بن رنجة، المرجع السابق، ص96.

[3] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص321.

- **ظاهرة شراء المناصب:** لقد كانت المناصب طيلة الفترة العثمانية مقترنة بتقديم الهدايا من قبل الولاة إلى الصدر الأعظم أو أحد كبار الديوان الهمايوني، لهذا فلقد كان المنصب يخضع لمبدأ من يدفع أكثر أو يشتري في الغالب بطريقة غير مباشرة عن طريق الرشوة[1].
- **تدخل الانكشارية:** تدخل الانكشارية في السياسة كان له ضرر بليغ على الدولة حيث أنه عندما تسيطر عقلية عسكرية على الحكم فمصير هذه الدولة الهلاك، وأصبحت الانكشارية هي القوة المتحكمة تماما في سير السياسة فإذا لم تكن ترغب في شيء قضت عليه[2].

فقد بدأت الانكشارية تقحم نفسها في القضايا السياسية وهذا راجع لعدة عوامل منها: عدم تقبل أي تأخر في دفع أجورهم، فجزاء من يتأخر في دفع أجورهم الخنق أو النفي أو الموت مثل ما وقع مع الباشا يوسف سنة 1642م، كما وضع الانكشاريون حدا لنظام الباشوات وعوض بنظام الدايات 1671 - 1830م [3]، حيث كانت الانكشارية تعين وتعزل الدايات، فأدى ذلك إلى انتشار الفساد وعمت الفوضى في قطاعات مختلفة، وساهمت هذه التمردات في إثارة البلبلة ضد نظام الحكم المركزي ونتيجة لهذه الأوضاع الداخلية الخطيرة، والتي زادت من ضعف الدولة الجزائرية ومن ضعف بحريتها[4].

- **تدهور المجتمع الجزائري:** تنحصر تشكيلة المجتمع الجزائري من خلال التواجد العثماني في طوائف عديدة: السكان الأصليون والأندلسيين والبرانية " البساكرة، الجيجلين، الأغواطين، بني ميزاب "، بالإضافة إلى فئة الأسرى والأعلاج ..... الخ[5].

ومما زاد في تدهور المجتمع الأوبئة والكوارث الطبيعية منها:

---

[1] سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 242 - 243.

[2] أماني بنت جعفر بن صالح الغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية " الجيش الجديد "، ط1، الهيئة العامة لدار الكتب المصرية، إدارة الشؤون الفنية، القاهرة، 2007م، ص ص 247 - 248.

[3] هشام بوشاهد، المرجع السابق، ص82.

[4] حكيمة حدون، خديجة بن رنجة، المرجع السابق، ص75.

[5] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 201.

1. **الزلازل:** لقد تسبب في دمار كبير كزلزال 1632م، وهزات أخرى ضربت البلاد في 1662م فأدى هذا إلى غرق إحدى عشر سفينة وعدد من الغنائم بالميناء.
2. **الطاعون:** يعتبر من أصعب وأخطر الأمراض منذ القدم، فأصاب الجزائر ما بين 1603م إلى 1697م وكان ينتقل عبر السفن، وأدى إلى حدوث أزمات ديموغرافية أثرت على البناء الاجتماعي العام للسكان في الجزائر[1].
3. **الجفاف وكثرة المجاعات:** تحدث المجاعة نتيجة النقص الكبير في المواد الغذائية، وباعتبار القمح والحبوب عامة أهم هذه المواد، فقد جعل منها الجفاف الذي أصاب البلاد في كثير من المواسم مواد سيئة نادرة أو منعدمة خاصة لما يصحب بمرض أو وباء كالطاعون فتتولد على إثر ذلك المجاعات منها:

- **مجاعة 1611 - 1612م:** واقترنت هذه المجاعة بالطاعون.
- **مجاعة 1643 - 1644م:** وتعود هذه المجاعة لسببين هما الطاعون والجفاف.
- **مجاعة 1682 - 1683م:** جفاف شديد خيمت على إثره مجاعة رهيبة.

وكنتيجة حتمية لهذه المشاكل الداخلية تأثرت البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وبذلك بدأت البحرية في الضعف والتراجع[2].

- **الانهيار الديمغرافي:** الذي عرفته الجزائر وباقي الأقطار العربية الإسلامية، والذي صاحبه ترد في الحالة الصحية وحوادث وقتية واضطرابات وفوضى، مما جعل الأنظار تتحول من الاهتمام بشؤون البحر إلى معالجة الأمور الداخلية وأدى في الأخير إلى قلة البحارة العاملين بالسفن[3].
- **الانتفاضات والثورات الشعبية:** امتدت هذه الثورات والفوضى إلى مناطق عديدة، ولم يترك شخص أو قبيلة لها أول مشكل مع النظام إلا وحاول استغلال الوقت ذاته لتصفية

---

[1] هشام بوشاهد، المرجع السابق، ص84.

[2] محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص113.

[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص142.

حسابه، الأمر الذي أدخل القائمين على نظام الباشوات والأغوات لقلب النظام لإقناعهم بفشله وتسليم السلطة لقيادة قوية وكفؤة[1].

بالإضافة إلى عدم الاستقرار السياسي الذي عقب فرض الضرائب التي أثقلت كاهل الجزائريين خاصة في المناطق الريفية، وهذا ما جعل موقف الجزائر يتغير تجاه الحكم العثماني الذي تعرض إلى عدة انتفاضات وثورات داخلية هددت وجوده بالجزائر استمرت لعقدين من أواخر العهد العثماني قادتها بعض الزعامات الطرقية والقبلية[2] ، ومن أهم الانتفاضات والثورات الشعبية خلال القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر: ثورة تلمسان 1627م، وثورة ابن صفري عام 1638م والتي دامت عشر سنوات 1648 [3] ، ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري " 1805 - 1816م "، وثورة ابن الأحرش في الشرق الجزائري " 1804 - 1807 "[4].

- **تراجع صناعة السفن:** في عام 1799م منح الداي مصطفى باشا كل من عائلتي بوخريص وبوشناق حق احتكار تجارة الخشب واستثمار الغابات التي كانت أخشابها تستعمل في بناء السفن أو البواخر، وقد كان أعوان بوشناق وبوخريص يتلقون من البحرية الجزائرية أثمانا على الخشب الذي يبيعونه لها، مضافا إليها نسبة عشرين في المائة تدفع لاحتكار بوشناق وبوخريص لقاء خدمات شركتهما، لكن بوخريص وبوشناق لم يكتفيا بهذه النسبة من الربح، وإرادات يحقق أرباحا أضخم وأهم، ففرضوا أثمانا لشراء الخشب من المحتطبين في الغابات أقل من الثمن الذي تعود المحتطبون المذكورة على البيع به، فسخطت القبائل التي كانت تبيع الأخشاب، ومنعت أعوان بوخريص وبوشناف من حمل الأخشاب بذلك الثمن فظلت كميات هامة من الأخشاب مكدسة فوق الشواطئ، دون أن تأخذ طريقها إلى حظائر صناعة السفن فأحدث ذلك فجوة في صناعة السفن

---

[1] محمد أمين عطلي، نفسه، ص 108.

[2] حمدان خوجة، المرآة، المرجع السابق، ص149.

[3] هشام بوشاهد، المرجع السابق، ص87.

[4] حكيمة حدون، خديجو بن رنجة، المرجع السابق، ص76.

الجزائرية ولم يستطيعوا تعويض السفن التي فسروها في الحروب والحملات خاصة الحرب في بحر اليونان 1821م[1].

- التقدم الصناعي والتقني الذي مكن الدول الأوروبية من تحدي القوة الجزائرية والوقوف في وجهها منذ أواسط القرن السابع عشر ولعل استيلاء الفرنسيين على 10871 غنيمة بحرية بمياه المتوسط، ما بين " 1793 - 1815 م " دليل على مدى التفوق البحري الذي أحرزه الأوروبيون في الوقت الذي كانت في الجزائر تعاني من قلة التجهيزات البحرية، وذلك راجع لعدم مواكبة الجزائر لمظاهر الثورة الصناعية التي ظهرت في أوروبا[2].
- **العملات الأوروبية ومعاهدات التقارب:** مع حلول القرن الثامن عشر بدأت تشهد تراجعا جراء الغارات المفاجئة للأساطيل الأوروبية على مدينة الجزائر إذ تعرضت في الفترة الممتدة بين " 1634 - 1789 " إلى عشر هجمات ألحقت أضرار بالغة بالبحرية وتناقص عدد البحارة الجزائريين فلم يعد يتجاوز عددهم 5300 بحار عام 1769م وانخفض عدد السفن العربية إلى ست بواخر مسلحة[3].

ومن أهم العملات الأوروبية على الجزائر منها الحملة الإسبانية في سنوات " 1577 - 1784 " وألحقت بها خسائر بشرية ومادية كبيرة [4] ، وأبرمت الجزائر معاهدات تقارب مع الدول الأوروبية خلال القرن الثامن عشر أعطت من خلالها حرية الملاحة وحق التجارة مع الجزائر وتأثرت بذلك هذه الأخيرة تأثيرات سلبية أوقعتها فيه خسائر مادية وإضعاف أسطولها [5].

وبدأ الأسطول بالضعف مع تزايد قوة الدول الأوروبية التي أضعفت قوة الجزائر البحرية خصوصا بعد المؤتمرات التي وضعت حد نهائي للقرصنة ونصت على تحرير الأسرى

---

[1] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 321.

[2] سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 142.

[3] كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، ماجستير جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006 - 2007، ص 176.

[4] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص 320.

[5] سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 199.

المسيحيين في الجزائر مثل مؤتمر فيينا، وظهور التحالف الأوروبي االذي واجه نابليون بنجاح وذلك عن طريق عقد سلسلة من المؤتمرات، وقد تضمنت قراراتها كيفية القضاء على البحرية الجزائرية في حوض البحر الأبيض المتوسط[1].

وظهر التراجع في البحرية بعد قصف الأسطولين الهولندي والانجليزي في 27 أوت 1816م الجزائر بقيادة اللورد اكسموث، حيث خلفت الحملة دمار غير مسبوق بميناء الجزائر، وتسببت في خسائر مالية باهضة لحقت بخزينة الدولة إذ أطلق الجزائريون سراح حوالي 1200 أسير مسيحي[2].

وبذلك قامت هذه الحملات بإضعاف قوة البحرية الجزائرية، حيث ساهمت في تحطيم جزء كبير من الأسطول البحري الجزائري.

- **مشاركة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية:** تعرض الأسطول العثماني إلى هزيمة ساحقة في خليج ليبانت سنة 1571م على يد الأساطيل الأوروبية المتحالفة والمسلحة بالمدفعية، ترتب على هذه الهزيمة فقدان نصف سفن الأسطول الذي لم يعد بعد ذلك يمثل خطرا على الأساطيل الأوروبية، حيث تم تحطيم أسطورة العثمانيون لا يهزمون[3].

ولقد طلب السلطان العثماني محمود الثاني في سنة 1820م من الجزائر بإرسال وحداتها البحرية لتعزيز القوات العثمانية ضد الثوار اليونان وحلفائهم الأوروبيين، فتوجهت من الجزائر في أواخر 1821م عدة بواخر تحمل على متنها أربعة آلاف جندي، وأيضا وجهت الجزائر سنة 1827م بطلب من الباب العالي وحدات أسطولها لتعزيز الأسطول العثماني ضد الجبهة المسيحية المكونة من الانكليز والروس والفرنسيين، وقد نشبت معركة بحرية هامة في نفارين أسفرت عن تحطيم معظم وحدات الأسطول العثماني، فلم

[1] حكيمة حدون، خديجة بن رنجة، المرجع السابق، ص77.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص65.

[3] نفسه, ص 147.

ينجوا إلا نحو الثلاثين باخرة من بينها عشر بواخر جزائرية مما أدى إلى ضعف شديد في الأسطول الجزائري[1].

بالإضافة إلى عوامل أخرى ساهمت في ضعف البحرية الجزائرية منها:

- تولد مركب الغرور عند الأتراك منذ فشل هجوم شارلكان على الجزائر، وتعزز بعد فشل الهجوم الإسباني في عهد شارل الثالث، أي بعد الهجوم الأول بأكثر من قرنين، وفعلا فقد ظل الهجوم الإسباني في المرتين الأولى والثانية رادعا مدة طويلة للدول الأوروبية عن التفكير في تنظيم حملة مماثلة، وبذلك لم يحاول العثمانيون تطوير بحريتهم مما أدى إلى ضعف أسطولهم[2].
- إن الضعف الأساسي للأسطول الجزائري كان يتصل بغياب قوات بحرية متخصصة، فلو استثنينا الغرب الذين كانوا على ما يبدوا من رجال مهمات بحرية بوجه خاص، وأيضا وحدات برية والانكشارية قد انخرطوا أحيانا في مغامرات بحرية غربية عن تجربتهم وعن أسلوب حياتهم[3].
- فقدت البحرية مكانتها اعتبارا من نهاية القرن الثامن عشر، فلقد ماتت معنويات البحرية العثمانية أوانها على أقل تقدير كانت قد انحطت، انخفضت رواتب صنف البحرية إلى درجة أن سليم الثالث أولا، ثم محمود الثاني أضاف إليها علاوات غير قليلة لأجل الترغيب في الالتحاق بالبحرية العثمانية[4] .

بالإضافة إلى تراجع هيبة رياس البحر إذ لم تعد لهم القوة التي كان يملكها الرياس الأقدمون وزيادة الخسائر التي تفوق الأرباح قتلت روح العمل البحري والرغبة فيه[5].

- أهم سبب وراء ضعف البحرية الجزائرية هو تعيين قواد على الأسطول من غير العارفين بالشؤون البحرية وعجز الدولة عن تنشئة البحارين المهرة ومسايرة التجديدات في تقنية صناعة السفن أو بتعبير آخر علم القدرة على ملاحقة تطورات العصر[1].

---

[1] مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، ص320.

[2] نفسه، ص322.

[3] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، المرجع السابق، ص308.

[4] يلماز آزوتونا، المرجع السابق، ص 434.

[5] آلتر عزيز سامح، المرجع السابق، ص 411.

- ولقد تحول النشاط البحري من هدف ديني سامي من أجل الدفاع عن الإسلام وحماية أراضيه من العدوان إلى أغراض اقتصادية بحتة طلبا للغنائم والمكاسب وبحثا عن الربح، بالإضافة إلى الحصار البحري الفرنسي " 1827 - 1830 " من أهم السياسات العدائية التي انتهجتها الدول الأوروبية إزاء الجزائر الذي ساهم بشكل كبير في القضاء على البحرية الجزائرية في مياه المتوسط[2].

[1] أكمل الدين إحسان أغلوا، المرجع السابق، ص421.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 143.

المبحث الثالث: علاقات البحرية الجزائرية مع الباب العالي وأوروبا

المطلب 01: أثر النشاط البحري في علاقة الجزائر مع أوروبا

" علاقة الجزائر مع فرنسا + إنكلترا + إسبانيا + الولايات المتحدة الأمريكية

المطلب 02: أثر النشاط البحري في علاقة الجزائر مع الدولة العثمانية

01-أثر النشاط البحري في علاقة الجزائر مع أوروبا

دخلت البلاد الإسلامية مرحلة من الضعف أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، شهدت خلالها أزمات هددت استقرارها، وكانت الجزائر تعيش نفس الظروف من ضعف داخلي وعدوان الأخلاق الأوروبية، وبذلك اختل ميزان القوة لصالح الغرب المسيحي الأوروبي، فلم يبقى في البحر الأبيض المتوسط سوى فرنسا وإنجلترا اللتان كانتا تتنافسان من أجل الحصول على امتيازات تجارية في السواحل الجزائرية والإستفادة من موقع الجزائر الاستراتيجي وثرواتها المطلوبة، في أسواق البحر الأبيض المتوسط كما تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة كطرف ثالث في دائرة الصراع، وقد حاولت كل دولة تحقيق أهدافها من خلال كسب صداقة الجزائر والتقرب إلى حكامها[1].

لقد كانت العلاقات الجزائرية الأوروبية أكثر تعقيدا إلى حد كبير، بالرغم من أنها كانت موضوع مراسلات ضخمة، لم تغير الجزائر عن متابعة سياسة خارجية مستقلة باعتبارها إيالة عثمانية، فالتمثيل الأوروبي في الجزائر كان يقوم به القناصل، لقد كانت استراتيجية الجزائر اتجاه أوروبا في منع أي تجمع للمناهضين الأوروبيين الأقوياء، اتبعت عدة أشكال من خلالها المطالبات المنتظمة بالجزية والمعاملة المتميزة في التدابير المتعلقة بإطلاق الأسرى واختيار أهداف القرصنات إلى اتفاقيات السلم الرسمية.

اعتمدت الجزائر في تأكيد مكانتها كدولة مدنية بحرية على أسطول القرصنات الذي مر بعدة مراحل حيث صادف ذلك حدوث التعادل النسبي بين قوة البحرية العثمانية والأوروبية الذي جاء بعد لبانتو 1571 والدخول النشيط لدول شمال أوروبا القوية في قضايا البحر الأبيض المتوسط.

[1] فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداي حسين (1818 - 1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2011، ص ص 164 - 165.

إن الدول القوية مثل فرنسا وإنجلترا وربما هولندا كانت تمثل التهويدات الفردية لسيادة الجزائر لكن الحقيقة أن التفاهم السري في مسألة الحملات البحرية غير ممكن تقريبا وكانت القاعدة هي مصادقة الجزائر على أكثر من معاهداتها بالرغم من أن الكثير من هجوماتها البحرية أغضبت الحكام الأوروبيين[1].

إن الضريبة كانت مفتاح العلاقات الجزائرية الأوروبية بمثابة حماية فردية وكذلك كانت الهدايا تجلب إلى دايات الجزائر من طرف القناصل الجدد القادمين لأحد الإقامة في مدينة الجزائر كيف لإيالة اهتلكت أسطولا بحريا قويا فرض سيطرته طيلة ثلاثة قرون على الحوض الغربي للمتوسط أن تقف عاجزة في حد التكتل الأوروبي؟

علاقة الجزائر مع فرنسا:

تميز القرن السادس عشر بالتعاون التركي ـ الجزائري ـ الفرنسي في مجال القرصنة، وقد أدى الأسطول الجزائري بصفة خاصة خدمات كثيرة لفرنسا إبان صراعها المرير ضد امبراطورية شارلكان ولكن استقلال الجزائر الفعلي عن الدولة العثمانية حرر الجزائر من الارتباط بالسياسة العثمانية وأطلق يدها في البحر الأبيض المتوسط وتكرر الصدام بين السفن الجزائرية والفرنسية، مما أدى إلى اتصالات ديبلوماسية مباشرة بين فرنسا والجزائر وقيام حالات حرب بينهما[2].

كانت علاقة الجزائر مع فرنسا طيبة فمنذ القرن السادس عشر تمتعت فرنسا بامتيازات تجارية خاصة في الجزائر فكانت لها مؤسسات تجارية في عنابة والقالة والقل

[1] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 161.

[2] محمد فارس، المرجع السابق، ص138.

[1] ، وكانت هذه المؤسسات تدفع ضرائب سنوية متفق عليها إلى الباشا والداي ومقابل ذلك تتمتع بحق صيد المرجان وتصدير الحبوب إلى أوروبا[2].

لقد قامت العلاقة بين البلدين لمعالجة عدة موضوعات ناجمة عن نشاط القرصنة والأسرى والتجارة بحيث تميزت الفترة الممتدة ما بين 1766 - 1790م بالهدوء والاستقرار، ففي سنة 1790م قام كلتا الطرفين بتمديد معاهدة السلم كما اعترفت الجزائر بالثورة الفرنسية ووقفت معها في محنتها الاقتصادية عام 1789م، [3] أمرت البحرية الجزائرية باحترام الراية الفرنسية وتعززت الصداقة أكثر خاصة عندما قام نابيلون [4] بتحرير أسرى المسلمين في مالطه وطرد فرنسا [5]القديس يوحنا سنة 1789م [6]، فتكونت بين الدولتين علاقات ودية باستثناء فترة الحملة الفرنسية على مصر (1789 - 1802) حين طلب السلطان العثماني من الجزائر إعلان الحرب على فرنسا[7].

القل: كان اسمها في القديم شلو مدينة صغيرة مبنية على سفح جبل تكسوه الخضرة دائما تبلغ قمته 1000 متر، انظر أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص287.[1]

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص13.

[3] إلهام قاسمي، حورية طالبي، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات (1617 - 1830)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة أدرار، 2010، ص121

[4] نابليون بوونابارت: عسكري وامبراطور فرنسي من مواليد جزيرة كوركيسا الإيطالية سنة 1769 أحرز انتصارات عسكرية وأصبح الزعيم الأول في البلاد توفي سنة 1821م.

انظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسات الوطنية للدراسات والنشر، ص538.

[5] فرسان القديس يوحنا: طردوا أثناء الحروب الصليبية من القدس استقرا بجزيرة قبرص وبعدها انتقلوا إلى رودس ثم طردوا سنة 522 ولجأوا إلى جزيرة مالطة 1530 واستقرا هناك حتى فرق نابليون صفوفهم سنة 1798.

انظر: شويتام، المرجع السابق، ص147.

[6] عدنان بوصلاح، أضواء على علاقات الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني (1519 - 1830)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ حديث، جامعة المسيلة، 2019، ص58.

[7] أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 14.

قامت الجزائر بعدة إجراءات اتخذتها ضد الفرنسيين تمثل الإجراء الأول في حجز القنصل والرعايا الفرنسيين والإجراء الثاني تجميد نشاط الوكالة الإفريقية القائمة باستغلال امتيازات وحجز سفينة فرنسية تحمل جنود من فرنسا[1].

حيث شهد عام 1801م ميلاد اتفاق جديد بين البلدين أعيدت بمقتضاه العلاقات السياسية والتجارية مع الالتزام بالعمل للاتفاقيات السابقة، لكن هذا التحسن في العلاقات بين الجزائر وفرنسا لم يدم طويلا في عهد نابليون [2] ، احتجز البحارة الجزائريون سفينتين فرنسيتين أسروا 200 بحارا و29 جنديا و9 نساء وصادروا المؤن الغذائية وقادوا الجميع إلى باي وهران سنة 1802م [3] استغل نابليون هذه الحادثة ليتذرع عن تهديد الداي ومطالبته بالتعويض عن الخسائر التي لحقت بالسفن الفرنسية طامعا إلى جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية يعبر منها إلى الهند عن طريق مصر وإيران[4].

في ظل هذه الأحداث والتوترات كانت قد ابتدأت قضية القمح والحبوب بين الجزائر وفرنسا في الظهور دون علم الباشا ذلك أن التاجرين[5] اليهوديين نفتالي بوشناق ويوسف بوخريص حصلا من الخزناجي حسن على إذن بتصدير الحبوب إلى فرنسا التي كانت في ضيق شديد جراء الثورة الفرنسية على مصر[6] ، ولما أدرك الداي خطورة التهديدات الفرنسية قبل إطلاق سراح الأسرى وإعادة السفن المحتجزة والبضائع الصادرة

---

[1] عدنان بوصلاح، المرجع السابق، ص60.

[2] محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791 - 1830 م)، مطبعة حلب، شارع طرابلس، الجزائر، ص54.

[3] يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500 - 1830)، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص114.

[4] محمد زروال، نفس المرجع، ص54.

[5] اليهوديين، بكري وبوشناف: من أصل يهودي اشتهرا بالتجارة: كيري المشهور باسم ابن زاهوات وصهره نفتالي بوشناف، جاءوا إلى الجزائر سنة 1723م.

انظر: سعد الله، المرجع السابق، ص14.

[6] أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر (1168 - 1246ه) - (1754 - 1810 م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص52.

وتعويض التالف منها، وفي المقابل طلب الداي من بونابارت في رسالة موجهة إليه بأمره بدفع ديون اليهوديين عن أعوام (1793 - 1798)[1].

إن قصة تدخل هذين اليهوديين في العلاقات بين الجزائر وفرنسا شكل جزءا أساسيا في تطور العلاقة بين الطرفين التي بدأت بالحصار ثم الحملة وانتهت باحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م [2].

علاقة الجزائر مع إنجلترا:

كانت العلاقة مع إنجلترا علاقة تبادل مصالح ونفوذ خاصة وأن إنجلترا كانت تهدف إلى تعكير العلاقات الجزائرية الفرنسية منافسة لفرنسا حول الحصول على امتيازات في الأراضي الجزائرية.[3]

حيث عرف الإنكليز البحر المتوسط منذ القرن الخامس عشر عندما كانوا يأتون إلى أرخبيل اليوناني بحثا عن الزبيب للصناعة ويعتبر عصر إلزابيت بداية النشاط البحري الإنكليزي الكبير وبدأ ظهور الشركات التجارية الكبرى، رحب الجزائريون بالإنجليز بسبب عدائهم المشترك للإسبان، ازدادت العلاقة بين البلدين تحسنا في القرن الثامن عشر إثر توطيد التفوق الإنكليزي واحتلال الإنكليز جبل طارق ومع انتصار إنجلترا في معركة الطرف الأغر [4] وضد مركزها في الجزائر وسمح لها سنة 1807م في أن تحل محل الفرنسيين في الجزائر[5].

---

[1] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص115.

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص14.

[3] وليام شالر، المرجع السابق، ص 140.

[4] معركة الطرف الأغر: وقعت سنة 1805م تم فيها هزيمة الأسطول الانجليزي للأسطول الفرنسي.
انظر: ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص 141.

[5] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص142.

استغلت بريطانيا تعكر العلاقات الجزائرية الفرنسية حيث وطدت علاقتها مع حكام الجزائر ومن مظاهر التقارب نجد تلك الرسالة التي بعث بها ولي عهد إنجلترا سوف تحمي الجزائر من أي عدوان خارجي [1] ، ولكن سرعان ما تم عكس ذلك، فإنجلترا أصبحت القوة البحرية الأولى في المتوسط بعد هزيمة فرنسا وحصولها على الجر الأيونية، بالإضافة إلى مراكزها السابقة في جبل طارق ومالطة تزعمت الحملة المعادية للجزائر في مؤتمر فيينا والمؤتمرات التي تلتها[2].

ومهما يكن من أمر فإن الإنكليز لم يعرفوا كيف يحافظون على علاقتهم الودية مع الجزائر إذ بمجرد أن وضعت الحروب الأوروبية أوزارها عام 1815 حتى التفت الإنجليز إلى قوة الأسطول الجزائري الذي عرف خلال الحروب الأوروبية انتعاشا نسبيا وحاولوا القضاء عليه حتى لا يعرقل نشاهم التجاري في البحر المتوسط ولتحقيق هذا الهدف قام الأسطول الإنجليزي بشن حملة عسكرية ضد الجزائر عام 1816م[3].

فضربت مدفعية اكسموثExmouth بطاريات السواحل الجزائرية، وكان العامل الأساسي في هذا التحول السريع هو عودة السلم إلى أوروبا [4] وبعد الهزيمة خصص الداي مجهودات فوق العادة لإعادة بناء تحصينات مدينة الجزائر وتأكيد ارتباطها بالسلطان العثماني وذلك بطلبه لثلاث سفن حربية تبعث له من ورشة القسطنطينية وقد أرجعت مجهوداته مدينة الجزائر إلى حالتها العادية من الاستعداد وفي سنة 1823م حرر القناصل الأجانب المقيمين في الجزائر مذكرة احتجاج ضد أعمال الحكومة الجزائرية وقد رد الداي حسين على هذا الاحتجاج أن حكومته وبلاده حرة في تصرفاتها، إلا أن الحصار الإنجليزي على السواحل الجزائرية غير مجرى التفاوض[5].

---

[1] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص104.

[2] محمد خير فارس، نفسه، ص143.

[3] ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص142.

[4] سبنسر، المرجع السابق، ص189.

[5] ارزقي شويتام، نفسه، ص165.

ويمكن القول أن هزيمة 1816 بداية حقيقية لنهاية الحكم العثماني في الجزائر، فقد استغلت الدول الأوروبية ضعف الدولة العثمانية والأوضاع الحرجة التي كانت تمر بها الجزائر لتشديد قبضتها على السواحل الجزائرية.

بعد الصلح الذي عقد بين الجزائر وإسبانيا عام 1785 وبعد فشل الحملة التي قادها الكونت أوريلي سنة 1774 وعملية القصف التي قام بها الجنرال بارسلوا حتى سنة 1784 والتي كانت عديمة الجدوى لقلة المواظبة عليها فقدت كل نفوذ في الجزائر[1].

في سنة 1791 كانت إسبانيا تلح على عقد الصلح مستجيبة لكل ما طلبته الجزائر منها، فقبلت الجزائر عقد صلح معها متخذة عدة شروط والتي كان أهمها:

ـ أن تنسحب إسبانيا من وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط وتم بذلك انسحاب الإسبان، بعد ترك الأسلحة والعتاد المتفق عليه وتسليم المدينة إلى الباي وكذلك أملت الإسبان شروطها على الجزائر من بينها أن تباشر صيد المرجان على الساحل الغربي الجزائري، وبهذا الصلح الذي تم بين الجزائر وإسبانيا ختمت آخر صفحة من صفحات العدوان الصليبي على الأرض الجزائرية بعد حرب دامت قرابة 300 عام من (1492 - 1792 م)[2].

فاكتسبت الجزائر بذلك مكانة خاصة وهيبة بين الدول آنذاك حتى أصبحت تعرف دار الجهاد وقلعة الإسلام الصامدة في وجه القوة المسيحية وبهذا فشلت إسبانيا في تنفيذ مخططها الصليبي[3].

---

[1] وليام شالر، المرجع السابق، ص131.

[2] أحمد المدني، المرجع السابق، ص527.

[3] أسماءا بلالي، التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10ه/ 16م " مجلة روافد البحوث والدراسات "، العدد 2، جامعة غرداية، 2017، ص65.

علاقة الجزائر مع إسبانيا:

اتسمت العلاقات الجزائرية الاسبانية طيلة العهد العثماني بالعدائية والصراع المسلح الذي كثيرا ما كان يفضي إلى احتلال مناطق من الساحل الجزائري حيث برز السلوك العدائي من جانب الإسبان نتيجة النشاط البحري للأسطول الجزائري، وتمسك الإسبان باحتلال وهران [1] والمرسى الكبير [2] ، لكن هذه العلاقة المتوترة تراجعت حدتها في أواخر القرن الثامن عشر وتحديدا في عهد الداي [3] محمد عثمان باشا (1766 - 1791)[4].

رأت اسبانيا أنه قد آن الأوان لتحطيم مدينة الجزائر إذ كانت الجزائر في حالة حرب مع معظم الدول الأوروبية وكان أسطول الجزائر متواجد في جهات عديدة من البحر اقتضى المنهج الاسباني على مهاجمة الجزائر بحرا بواسطة عمارة بحرية قوية وعلى تحطيم السفن الجزائرية المتواجدة في المرسى وتحطيم الحصون والقلاع وإملاء الإرادة على

[1] وهران: أعظم المدن الجزائرية عمرنا واتساعا تقع داخل خليج مفتوح سميت في القديم ب إفري أي الكهوف.
انظر: المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص299.

[2] المرسى الكبير: مرسى وهران من أعظم مراسي البحر المتوسط يحميه سد يمتد في البحر موازيا للأرض طوله 3221 متر، ومسطحاته تمتد على طول 5100 متر،
انظر المدني نفسه، ص301.

[3]محمد عثمان باشا: ولد بمدينة الجزائر أخذ العلوم من فحول رجالها كان متصلا بالإدارة التركية محبوبا عند رجال الديوان، توفي سنة 1791م.
انظر: أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766 - 1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص77.

[4] صباح نوري هادي العبيدي، توفيق دحماني: معاهدة 1786 بتهدئة الصراع بين الجزائر وإسبانيا " مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية "، العدد 10، جامعة ديالي، 2016، ص239.

الجزائر، انطلت الحملة الأولى سنة 1773م من مدينة قرطاجنة الاسبانية كان الأسطول يشمل 76 سفينة حربية، مقابل 25 سفينة جزائرية مختلفة الأحجام استمر تبادل إطلاق النار بين الطرفين وانتهت المعركة بانتصار الجزائر لكن سرعان ما جهزت اسبانيا بالحملة الثانية يوم 12 جويلية 1774م برزت من خلالها 70 سفينة اسبانية مقابل 63 سفينة جزائرية[1].

شرع القصف أمام صمود الداي وأهالي مدينة الجزائر الذين تمكنوا من هزيمة الاسبان وبالرغم من ذلك عادت اسبانيا الهجوم على الجزائر المرة الثالثة لكن كان آخر محاولة لاسبانيا في احتلال الجزائر، حيث توقف القتال العسكري واختارت الأسلوب الدبلوماسي[2].

العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية:

دخلت الولايات المتحدة الأمريكية مسرح العلاقات الدولية ولعبت دورا بارزا في البحر الأبيض المتوسط الذي كان حوضا تتنافس عليه الدول الأوروبية والدولة العثمانية لأهمية الاستراتيجية[3].

إن ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كأمة مستقلة قد أدخل عنصرا جديدا وهو الذي سعى الجزائريون لاستغلاله بسرعة سيرا على سياستهم التقليدية تجاه أوروبا وهو بمثابة زيادة مصدر الجزية وفي سنة 1785 كان القراصنة الجزائريون يمخرون البحر وراء مضيق جبل طارق فاستولوا على سفينتين أمريكيتين في المحيط الأطلسي غرضا في إبعاد التجارة الأمريكية على حوض البحر الأبيض المتوسط .

---

[1] المدني: حرب الثلاثمائة عام 1492 - 1792، المرجع السابق، ص510.

[2] سفيان صغيري، المرجع السابق، ص101.

[3] عدنان بوصلاح، المرجع السابق، ص66.

وفي سنة 1793 مسح القراصنة الجزائريون شواطئ اسبانيا وشمال المغرب الأقصى وجلبوا غنائم إلى مدينة الجزائر إحدى عشر سفينة أمريكية مع أكثر من مائة بحار أمريكي أسير[1].

من هنا بدأت عمليات التفاوض بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية حيث بعث مرخص الولايات المتحدة الأمريكية ليتفاوض معاهدة السلام مع الجزائر [2] فرفض المبعوث الأمريكي الشرط الأول بأن تدفع الو م أ مليونان وسبعة وأربعين ألف دولار وعرض على الداي عبر الأسير كتكارت [3] دفع 543 ألف دولار ضمن الصلح، حيث في 05/ 09/ 1795 تم توقيع معاهدة الصلح بين المبعوث الأمريكي و الداي حسن باشا [4] بعد عدة محاولات[5].

بحيث تضمن إطلاق سراح الأسرى وفي سنة 1795م توصلا الطرفان إلى معاهدة السلم تدفع الولايات المتحدة الأمريكية بموجبها 642.500 دولار كفدية لمائة أسير[6].

بقيت العلاقات الجزائرية الأمريكية خلال فترة الاضطرابات الأوروبية التي أنتجت الحروب النابولونية يسودها السلام[7].

---

[1] سبنسر، المرجع السابق، ص185.

[2] شالر، المرجع السابق، ص8.

[3] كثكارت: أخذه الانجليز أسيرا وتمكن من الفرار وحصل على عمل في سفينة تجارية وأصبح بعدها موظفا مسيحيا ومديدا لكتب الداي في الجزائر وفي سنة 1796 عاد إلى بلده الو م أ يحمل معاهدة تتضمن بنودالشام.
للمزيد انظر: مذكرات أسير الداي كاثكارث: قنصل أمريكا في المغرب تر: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص9.

[4] مذكرات أسير الداي كاثارت، نفسه، ص168.

[5] كان حسين باشا وزيرا ثالثا يكتفي بخوجة الخيل ثم عين دايا على إيالة الجزائر، شرع في بناء القصبة ورتب السرايا وبنى المسجد للخطبة وأمر بتسريح مواكب الحج.
للمزيد انظر: أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 144.

[6] شالر، المرجع السابق، ص5.

[7] أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثة مائة، المرجع السابق، ص 146.

وبعد فترة السلم والتي تحملت أمريكا نوعا من التبعية وجاءت الحرب الأمريكية الإنجليزية واستجاب الداي للضغوط اللطيفة التي كان يمارسها الوصي على عرش أمريكا وأعلن الحرب على الو م أ سنة 1812 التي انتهت بالتعادل بين إنجلتر و الو م أ حيث تم عقد الصلح بينهما.

وبذلك وجهت الولايات المتحدة الأمريكية كل اهتمامها إلى الجزائر وقرروا أنهم لم يعودوا يستطيعون قبول الشروط التي تمليها الجزائر.

ومما زاد آمال خلاص الأمريكيين من السيطرة الجزائرية هو أن الأسطول الجزائري كان منهمكا في الحرب مع بقية دول أوروبا.

في سنة 1815 أعلنت أمريكا الحرب على الجزائر وإثر ذلك أقلعت قوة بحرية كبيرة على متنها وليام شالر[1] الذي عينه رئيس الو م أ قنصلا عاما لأمريكا في بلدان المغرب والذب فوضه لعقد الصلح مع الجزائر قبل المعركة[2].

في 17 يوليو لمحت البارجة الأمريكية بارجة جزائرية هي بارجة الأميرال التي كان يقودها القبطان العظيم حميدو تتجه إلى الجزائر وعلى الفور شرع الأسطول الأمريكي في مطاردتها فحولت وجهتها إلى الشواطئ الاسبانية ولكن الأمريكيين قطعوا عليها الطريق فاستسلمت لهم، وفي هذه المعركة فشل حميدو واختتمت بذلك أسطورة قائد من أعظم القواد البحريين في زمنه لاسيما أن وصفه شالر في مذكراته كان " يتميز بالذكاء الخارق والشجاعة النادرة " كان قتل الرايس حميدو أسوء ما عرفته البحرية الجزائرية منذ أجيال خصوصا أن قتله جاء من طرف دولة اشتهرت بالجشع التجاري [3] ، ثم أتوا الجزائر وطلبوا الصلح فامتنع الداي عن مصالحتهم[4].

---

[1] وليام شالر، ظهر القنصل شالر على مسرح الأحداث في الجزائر في مرحلة كانت صالح القوى لأمريكا سنة 1776، مذكرات وليام شالر، المرجع نفسه، ص193.

[2] شالر، نفسه، ص6.

[3] شالر، المرجع السابق، ص7.

[4] أحمد المدني، المصدر السابق، ص146.

نتيجة لعدة مفاوضات تراوحت بين مد وجزر وقطع الداي معاهدة تحت التهديد بالقوة انتهت مهزلة المفاوضات سنة 1815 وتم توجيه المعاهدة إلى حكومة أمريكا للمصادقة عليها، لكن شاءت الأقدار أن يهمل مجلس الشيوخ التصديق عليها نتيجة ليسهو حتى 1822 وبعد هذا التاريخ أعلن أن المعاهدة أصبحت نافذة المفعول[1].

ويمكن القول أن علاقات الجزائر بالولايات المتحدة الأمريكية عرفت سنوات حرب وسنوات سلم، فقد ظهرت أولى مظاهر العلاقات بين الطرفين سنة 1785م بعد مهاجمة السفن الجزائرية لسفن التجارة الأمريكية، وحاولت الو م أ بعد ذلك التوصل إلى السلم مع إيالة الجزائر لحماية تجارتها، لكن ثقل المطالب الجزائرية أفشلت الاتفاق بين الطرفين، كما استغل الأمريكان الحرب بين الأسطول الجزائري وبقية دول أوروبا فقبلت شروط المعاهدة الجزائرية وتم توقيع معاهدة بين الطرفين سنة 1796م واستمرت العلاقة حسنة بينهما إلى غاية سنة 1812 حيث نقض داي الجزائر الاتفاق مع الو م أ نتيجة جشعه، فتوترت العلاقات بين الطرفين عبرت عنها استهداف البحارة الجزائريون لسفن التجارة الأمريكية فاستغلت الو م أ التحالف الأوروبي ضد الجزائر وفرضت على الداي الصلح سنة 1815م.

02-العلاقات بين الجزائر والباب العالي " الدولة العثمانية ":

تميزت العلاقات بالتعاون والمساعدة المتبادلة والتي بدأت بتلك المساعدات التي قدمها السلطان با يزيد الثاني عندما أرسل أسطول كمال رئيس لمساعدة المسلمين الإسبان، ومنذ ذلك الحين ظلت السفن العثمانية راسية بصورة دائمة في مياه غرب البحر الأبيض المتوسط تقوم بالجهاد ضد السفن التجارية الأوروبية أو تنقل الأسلحة إلى الموريسكي وأحيانا تدافع عن الموانئ الإفريقية الشمالية ضد هجمات الغزاة الأوروبيين [2] ، وازدادت مساعدة العثمانيون إلى الجزائر خاصة بعد هروب الكثير من المسلمين إلى

---

[1] شالر، نفسه، ص14.

[2] نيقولاي ايقانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 - 1574، تر: يوسف عطا الله، ط1، دار الغارابي، بيروت لبنان، 1998، ص95.

شمال إفريقيا بعد سقوط غرناطة فضلا عن بداية ما يسمى بحركة الجهاد البحري في شمال إفريقيا[1] ، حيث قام خير الدين بربروس بنقل المسلمين من بلاد الأندلس بسفنه من تلك السواحل إلى الجزائر وحصن نواحي الجزائر وصار حاكما عليهم وعرض تبعيته للباب العالي[2].

ونلاحظ هذا التعاون عندما أرسل الأخوان بربروس إلى السلطان سليم الأول مجموعة من النفائس التي استوليا عليها بعد فتح مدينة جيجل، فقبلها السلطان ورد لهما الهدية بإرسال أربع عشر سفينة حربية مجهزة بالعتاد والجنود وكان هذا الرد من السلطان العثماني يعكس رغبته في استمرار نشاط ودور الأخوين ودعمه، حيث لم يكن من الممكن للأخوين بربروس أن يقوما بفتح الجزائر وطرد الإسبان لولا تشجيع السلطان العثماني ودعمه إلى جانب دعم شعوب المنطقة[3].

وبذلك تشكلت النواة الأولى للجيش والقوة العسكرية الجزائرية في الفترة الحديثة، وقد ظلت هذه المساعدات تتكرر في عدة مناسبات، مقابل اعتراف حكام إيالة الجزائر بالولاء للدولة العثمانية، لذلك كانت العلاقات الجزائرية العثمانية استمرارية لعلاقات دينية وسياسية وعسكرية وتاريخية التي اندرجت في إطار تبعية الجزائر لدولة الخلافة العثمانية الإسلامية[4].

أما من الناحية العسكرية فتمثل الدعم العسكري من الأسطول الجزائري للبحرية العثمانية ونلتمس هذا الدعم من خلال أربعة رسائل، فالرسالة الأولى بعث بها مسؤول رفيع المستوى يصف البحارة الجزائريين آنذاك في هذا البلد مسلمون ومسيحيون يمجدون عظمة الجزائر بسبب شجاعة محاربيها وأبطالها ومن سمعتهم في البر والبحر، والذين

[1] أحمد سالم، استراتيجية الفتح العثماني، ماجستير في التاريخ، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 2012، ص123.

[2] تاريخ بجوى ابراهيم أفندي، التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الثاني، تر: ناصر عبد الرحيم حسين، مج1، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص74.

[3] علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص ص 352 - 353.

[4] حكيمة حدون، خديجة بن رنجة، المرجع السابق، ص42.

سجلوا انتصارات عديدة على كثير من الأمم، أما الرسائل الثلاث الأخرى فتؤكد بدورها على الدور الذي لعبته البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية[1].

كانت البحرية الجزائرية تساعد البحرية العثمانية في حروبها ضد التكتلات الأوروبية بدافع الجهاد ضد الأعداء الأوروبيين، ولقد ظهر الدور البارز للبحرية الجزائرية في معركة ليبانت رغم هزيمة الأسطول العثماني، حيث توجه السلطان سليم الثاني رسالة إلى بيلرباي الجزائر عليج علي يدعوه فيها إلى تجهيز سفينة والالتحاق بالأسطول العثماني وسارع علج علي إلى تلبية النداء حيث غادر الجزائر سنة 1571م على رأس حوالي خمسين سفينة، قصد الالتحاق بالأسطول العثماني في كورفو، غير أن الأسطول العثماني يم يكن مجهز تجهيزا كافيا مما أدى إلى ضريبة الأسطول العثماني أمام أسطول عدو، لكن الأسطول الجزائري تمكن من الاستيلاء على عشر سفن من أسطول المسيحي، وتمكن الأسطول الجزائري من الافلات من محاصرة الأسطول المسيحي والعودة سالما إلى إستانبول خلافا لبقية الأسطول العثماني الذي تم القضاء عليه[2].

أما من الناحية السياسية فإلى غاية سنة 1800م كان الداي المعين حديثا يطلب تنصيبا رسميا وسعيا إلى كسب ود الباب العالي، يرسل الداي هدايا " منسوجات، مرجان، عبيد ..... "، لم تكن إتاوات منتظمة بصرف النظر عن قيمتها، كما كان السلطان يرد عليها أيضا بهدايا " كمدافع، بارود ....."، وفي عامي 1801 و 1817 قدم السلطان سفينتين حربيتين[3].

لقد كان حكام الجزائر بعيدين عن فكرة التمرد عن إرادة السلطان العثماني لكن ازدياد ضعف قوة ونفوذ الدولة العثمانية ولد ضعف الروابط بين نيابة الجزائر والسلطة

---

[1] تركية بولقرون، المرجع السابق، ص16.

[2] الشافعي درويش، علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن 10ه/ 16م، ماجستير، العلوم الإنسانية والاجتماعية بغرداية، 2010 - 2011، ص ص 67 - 68.

[3] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، المرجع السابق، ص 622

العثمانية حتى أصبحت الجزائر جمهورية عسكرية وأصبحت الإيالة لا يربطها بالدولة العثمانية سوى رباط ديني، ومما زاد في استقلالية الجزائرية أن الدايات أصبحوا يعتبرون أنفسهم كحلفاء للباب العالي فقط بعد أن كانوا تابعين له وأصبحوا يقومون بالاتصال بالدول الأوروبية دون اعتبار لمصلحة السلطنة[1].

إذ تعتبر الفترة 1711 - 1830م مرحلة متميزة من تاريخ العلاقات بين الجزائر والباب العالي، حيث توقف فيها إرسال الباشوات إلى الإيالة من إسطنبول، وأصبح تعيينهم يتم من بين أفراد الأوجاق في مدينة الجزائر، فظهر هذا الاستقلال في عدة نصوص معاهدات ومراسلات بينها وبين بقية الدول المسيحية والتي كانت تتعامل معها باستقلالية، فكانت قرارات عقد السلم وإعلان الحرب تجري باسمها دون الرجوع إلى ترخيص من الباب العالي[2].

ويتضح لنا من استقلال الجزائر عن الدولة العثمانية عندما منع الداي " علي شاوش " " إبراهيم باشا " المعين من الباب العالي من تولي مهمته في الجزائر بحجة تسببه في إثارة المشاكل وتجسدت هذه الاستقلالية في نجاح " علي شاوش " في الحصول على لقب الباشا من السلطان بفضل الهدايا.

وأصبحت الجزائر قوة حليفة للباب العالي أكثر منها قوة تابعة له وإرسال الهدايا لم يكن يعبر عن الحصول على الترسيم بقدر ما كان يعبر عن الدولة للسلطان كخليفة للمسلمين، ومنه يمكن القول أن أهم ما ميز العلاقات الجزائرية العثمانية في عهد الدايات " 1671 - 1830م " والذي يعد أسطول العهود العثمانية في تاريخ الجزائر الحديث هو استقلال الجزائر الرسمي عن الدولة العثمانية سياسيا[3].

[1] محمد بن سعيدان، علاقات الجزائر مع فرنسا " 1070 - 1170ه/ 1659 - 1756 "، ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية بغرداية، 2011 - 2012، ص17.

[2] حكيمة حدون، خديجة بن رنجة، المرجع السابق، ص ص 42 - 43.

[3] محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص ص 17 - 18.

كما جمع بين الدولة الجزائرية والباب العالي علاقات ثقافية تجسدت في الحدية عن الجزائر باعتبارها أسطنبول الصغرى نظرا لمكانتها الدينية والعلمية والاقتصادية، كما كثر عدد الوافدين عليها من مركز الخلافة علماء ورجال الدين " وكان لهم دور في القضاء ونشر المذهب الحنفي والفنون والتعليم بل كان منهم من أدى وظائف دبلوماسية [1] ، كما تميزت الجزائر خلال الحكم العثماني بشيوع العمران وتطور الزراعة، وكان ذلك بسبب أرباح الجهاد البحري الذي مكن كثيرا من الحضر والأتراك من حيازة الضياع خارج مدينة الجزائر والانتقال إليها بعد أن ضاقت المدينة بجماعات الأسرى والعبيد[2].

كما أثر العثمانيون في الحياة الاجتماعية والثقافية للجزائريين من ذلك ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي في المأكل والملبس والألقاب، وأثروا في العمارة كمساجد والأضرحة وفي الخط واللغة والموسيقى [3] ، أما العنصر البشري فهو يتصف بتعدد طوائفه واختلاف أصوله، فهناك بعض الأفراد من الأتراك وجماعات من الكراغلة والحضر وبعض النصارى[4].

وبذلك يمكن القول أن المجتمع الجزائري من خلال هذه العلاقات تمكن من بلوغ مرحلة المجتمع الواعي المتماسك والمتجاوب ضمن قيم وعادات وتقاليد مستمدة من التشريع الجزائري التي تشكل عامل وحدة قوية في المجتمع[5].

[1] تركية بولقرون، المرجع السابق، ص17.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص359.

[3] تركية بولقرون، المرجع السابق، ص17.

[4] ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص363.

[5] تركية بولقرون، نفسه، ص17.

خاتمة

خاتمة:

توصلنا من خلال البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن اختصارها فيما يلي:

ـ شكل حوض البحر الأبيض المتوسط دائرة صراع بين العلمين المسيحي والإسلامي نظرا لأهميته الاستراتيجية، وعليه عرفت منطقة المغرب الإسلامي عدة أحداث كان أهمها الحملات الإسبانية على السواحل الشمالية لافريقيا وكانت الجزائر أهم محطات الصراع على غرار دول المغرب التي استنجدت بالعثمانيين لتحريرها من الغزو الصليبي، حيث كان العالم الديني هو المحرك لعمليات الفتح ومن ثم ثبت العثمانيون أقدامهم بإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1519م لتصبح إيالة عثمانية.

ـ انتظم النشاط البحري للدولة الجزائرية الحديثة تحت لواء الدولة العثمانية فقد ارتكز هذا النشاط على أعمال الغزو والجهاد البحري (القرصنة) ضد الدول المسيحية حيث عرفت البحرية الجزائرية خلال القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر أوج قوتها فكان العصر الذهبي لها الذي نتج عنه ارتفاع عائدات البحر من غنائم وأسرى وإتاوات ما ساهم في إثراء خزينة الدولة إضافة إلى اكتساب الخبرات الأوروبية ونقلها إلى البحرية الجزائرية.

ـ بفضل قوة البحرية الجزائرية اتخذت الجزائر لنفسها مكانة دولية مميزة في حوض المتوسط ما دفع دول أوروبا إلى التقرب من حكامها لربط علاقات معها أهم ما ميز هذه العلاقات هو العداء بسبب الضريبة البحرية التي فرضتها الجزائر على السفن الأوروبية وكذلك قضية الأسرى وإطلاق سراحهم.

ـ ساهمت جملة من العوامل في إضعاف البحرية الجزائرية خاصة تدخل الانكشارية في الحكم وكذلك المجاعات والأمراض والصراعات الداخلية.

ـ لعبت البحرية الجزائرية دورا كبيرا في دعم العلاقات الجزائر بالباب العالي من خلال مشاركة الأسطول الجزائري في حروب الدولة العثمانية مثل معركة ليبانت 1571م.

ـ وجهت الدول الأوروبية العديد من الحملات ضد الجزائر مما أدى إلى تحطيم أسطولها وسقوط بحريتها، مما أدى إلى احتلالها من طرف فرنسا سنة 1830م.

ـ لقد كانت الإيالة الجزائرية تعتمد إلى حد كبير على ما توفره البحرية من غنائم وأرباح أسرى وبعد عقد مؤتمر فيينا ومنعه للقرصنة ضعفت غنائم البحرية مما أدى إلى ضعف الجزائر.

الملاحـــــق

الملحق رقم 01: لوحة فنية عن معركة بروزا

أسلحة خفيفة، بينما كان فرسان الكفّار مدجّجين بالدروع التي تغطي معظم أجسادهم وتعوق حركتهم. لقد جعل هذا الفارق بحارتنا يعملون السيف في رقاب العدو بخفة ورشاقة وبأقل قدر ممكن من الخسائر.

وأخيرا كان تفوقنا الأكبر يتمثل في قوة إيماننا، وتبعيتنا لمولانا سلطان العالم.



لوحة فنية عن معركة بروزة

المرجع : خير الدين بربوس مذكرة خير الدين بربوس . ترجمة:محمد دراج ,شركة الاصالة الجزائر 2010

الملحق رقم 02: خير الدين بربروسة شيخوخته



المرجع: بسام العسلي: خير الدين بربروس والجهاد في البحر1470-1547، دار النفائس، بيروت،1980.

الملحق رقم 03: الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م



المرجع: محمد دراج: الدخول العثماني ودور الإخوة بربروس(1512–1543)، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

الملحق رقم 04: نموذج لفينة قادرغة

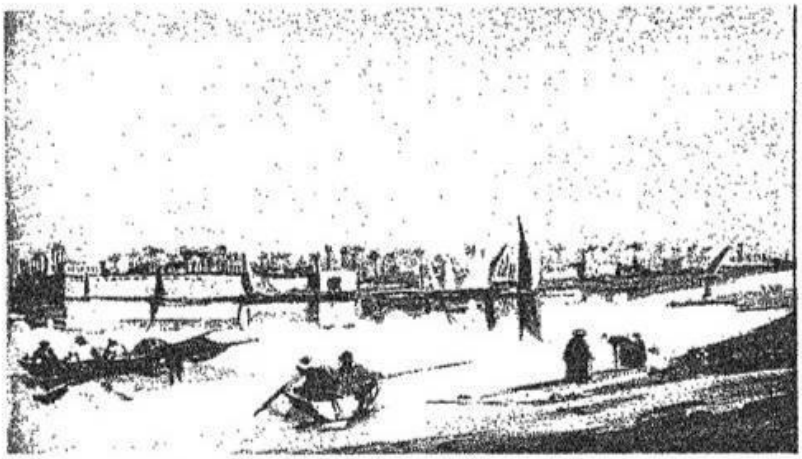




-خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1431-2010م.

الملحق رقم 05: جزيرة الروضة دار صناعة السفن البحرية

يمتلك غالبا الطريق إلى غزو القطر الذي يرغب في غــزوه.



جزيرة الروضة حيث توجد دار صناعة السفن البحرية

ولقــد كانت الولايات الاسلامية في القرون الأولى تمتلك قوات برية شديدة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر

1. اوزتونا يلماز، موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، تر: عدنان محمد سلمان، مج3، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010م .

2. ايفانوف نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516 - 1574، تر: يوسف عطا الله، ط1، دار الغارابي، بيروت لبنان، 1998.

3. خوجة بن عثمان حمدان، المرآة: تعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

4. شالر وليام، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816 - 1821)، تق: اسماعيل العربي، الشركة الوطنية الجزائر، 1982.

5. مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م.

6. مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير سباعي، ج2، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م.

7. المحامي فريد بك محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تج: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م - 1401ه.

8. مذكرات أسير الداي كاثكارث: قنصل أمريكا في المغرب تر: اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

المراجع

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500 - 1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

2. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

3. أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766 - 1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

4. الاقرش دلندة واخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003.

5. أكمل الدين إحسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر: صالح سعداوي، ج1، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999 .

6. اورتايلي ايليبر, العثمانيون في ثلاث قارات، تر: عبد القادر عبد اللي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2014م .

7. بوحوش عمار, التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

8. بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

9. بوعزيز يحي، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500 - 1830)، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009.

10. تابليت علي, الرايس حميدوا أمبرال البحرية الجزائرية (1770 - 1815)، منشورات ثالة، الجزائر، 2006.

11. تاريخ بجوى ابراهيم أفندي، التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الثاني، تر: ناصر عبد الرحيم حسين، مج1، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

12. التر عزيز سامح , الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

13. خير فارس محمد، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1969.

14. درياس يمينة, المكتبة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة، الجزائر، 2007.

15. الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، طبعة خاصة، الجزائر، 2007. غطاس عائشة,

16. زروال محمد, العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791 - 1830 م)، مطبعة حلب، شارع طرابلس، الجزائر.

17. سبنسر وليام, الجزائر في عهد رياس, تق، تع: عبد القادر زبانيه، دار القصبة للنشر، الجزائر.

18. سعيدوني ناصر الدين, ورقات جزائرية دراسات وأبحاث عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

19. سعيدوني ناصر الدين، ابوعبدلي لشيخ المهدي ، الجزائر في تاريخ العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .

20. شارل أندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م ـ تع: محمد مزالي، البشير بن سلامة، ط4، دار التسوية للنشر، 1983.

21. شويتام ارزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م - 1830م، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011.

22. الصلابي محمد علي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط,ط1,دار التوزيع و النشر الاسلامية,2001.

23. طقوش محمد سهيل , تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013.

24. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830، دار هومة، 2012

25. العسلي بسام، خير الدين بربروسا والجهاد في البحر (1470 - 1547)، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980.

26. متولي احمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، أيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م .

27. محرز امين ، الجزائر في عهد الأغوات (1639 - 1671)،البصائر الجديدة، 2013.

28. المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر 2010.

29. المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792م، دار البعث، الجزائر.

30. المدني احمد توفيق، مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر (1168 - 1246ه) - (1754 - 1810 م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

31. المروش منور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع، الجزء2، دار القصبة للنشر.

32. الميلي بن مبارك الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

33. هلايلي حنيفي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائؤ، 2008.

34. هلايلي حنيفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007.

المعاجم

35. صابان سهيل, المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ط3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

36. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسات الوطنية للدراسات والنشر.

الرسائل الجامعية

1. بن سعيدان محمد، علاقات الجزائر مع فرنسا " 1070 - 1170ه/ 1659 - 1756 "، ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية بغرداية، 2011 - 2012.
2. بن عمار مصطفي,: الصراع على السلطة في الجزائر في عهد الدايات (1671 - 1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، 2010.
3. بوشاهد هشام, عبد الحميد فراقة، البحرية الجزائرية ونشاطها في البحر الأبيض المتوسط " 1518 - 1830 "، شهادة الماستر، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2015ـ 2016م.
4. بوصلاح عدنان، أضواء على علاقات الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني (1519 - 1830)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ حديث، جامعة المسيلة، 2019 .
5. بوعيسي حسام الدين: القرصنة البحرية وتأثيراتها على المنطقة العربية أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص علوم سياسية وعلاقات دولية، جامعة باتنة، 2013.
6. بولقرون تركية, موقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسي للجزائر " 1827 - 1848 "، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014 - 2015م.
7. جميل عائشة، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520 - 1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2018.
8. حدون حكيمة, خديجة بن رنجة، مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية خلال فترة الدايات (حروب اليونان نموذجا 1821 - 1829)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص حديث ومعاصر، جامعة خميس مليانة، 2016 .

9. زيتوني اسحاق, البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519 - 1800م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، غرداية، 2011- 2012م .

10. سالم احمد، استراتيجية الفتح العثماني، ماجستير في التاريخ، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، 2012.

11. سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671- 1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2012.

12. الشافعي درويش، علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن 10ه/ 16م، ماجستير، العلوم الإنسانية والاجتماعية بغرداية، 2010 - 2011.

13. شتيوي وسيلة، بن عمارة العطرة، الأسرى الأوروبيون وتأثيرهم في العلاقات الجزائرية الأوروبية خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2018.

14. صحراوي فتيحة، الجزائر في عهد الداي حسين (1818 - 1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2011.

15. عطلي محمد امين,نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، ماجستير، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية بغرداية، 2011 - 2012م .

16. عطلي محمد امين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر ةأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2012.

17. غلاف خيرة, الأسطول البحري الجزائري خلال القرن 18م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث، جامعة المسيلة، 2019.

18. قاسمي الهام، حورية طالبي، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات (1617 - 1830)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة أدرار، 2010 .

19. كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، ماجستير جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006 - 2007 .

20. المغازي أماني بنت جعفر بن صالح , دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية " الجيش الجديد "، ط1، الهيئة العامة لدار الكتب المصرية، إدارة الشؤون الفنية، القاهرة، 2007م.

21. نصرات روضة، مريم غميمة، الموانئ الجزائرية ودورها الاقتصادي والعسكري خلال عهد الدايات (1671 - 1830م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط والحديث، جامعة الوادي، 2017.

22. يوسفي صرهودة، الاقتصاد والمجتمع في إيالة الجزائر (1700 - 1830م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة2 ، 2018.

المجلات

1. ابلالي اسماء، التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10ه/ 16م " مجلة روافد البحوث والدراسات "، العدد 2، جامعة غرداية، 2017.
2. العبيدي صباح نوري هادي العبيدي، توفيق دحماني: معاهدة 1786 بتهدئة الصراع بين الجزائر وإسبانيا " مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية "، العدد 10، جامعة ديالي، 2016.

الفهرس

الفهرس

العنوان	الصفحة
شكر و عرفان	3
إهداء	5 - 4
قائمة المختصرات:	7
مقدمة	8
مدخل: لمحة تاريخية عن البحرية العثمانية في الجزائر	14
تعريف البحرية العثمانية	15
أهمية البحر الأبيض المتوسط " جغرافيا، تاريخيا، واقتصاديا	20
تعريف البحرية الجزائرية (البيلربايات – الباشاوات – الآغاوات)	26
المبحث الأول: البحرية الجزائرية في عهد الدايات	39
المطلب الأول: طائفة رياس البحر وديوان البحرية	40
المطلب الثاني: تشكيلة الأسطول " التجهيزات + الموانئ +السفن "	44
المطلب الثالث: الغنائم البحرية والأسرى	55
المبحث الثاني: مساهمة البحرية الجزائرية في حروب الدولة العثمانية	65
المطلب 01: القرصنة والجهاد البحري	66
المطلب 02: أهم الحملات	78
المطلب 03: ضعف البحرية	85
المبحث الثالث: علاقات البحرية الجزائرية مع الباب العالي وأوروبا	95
المطلب 01: أثر النشاط البحري في علاقة الجزائر مع أوروبا	96
علاقة الجزائر مع فرنسا:	97
علاقة الجزائر مع إنجلترا:	102
علاقة الجزائر مع إسبانيا:	106
العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية:	107
المطلب الثاني: أثر النشاط البحري في علاقة الجزائر مع الدولة العثمانية	112

خاتمة	119
الملاحـــــق	122
قائمة المصادر والمراجع:	128